الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور – خنشلة–

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

شعبة: الدراسات اللغوية

التخصص: لسانيات عامة

الحجاج في الأحاديث القدسية

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مواد شهادة الماستر 2

إعداد الطالبة: إشراف الدكتورة:

⇦ عماري حفيظة ⇦ جغروب صورية

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
جغروب صورية	أستاذ محاضر – أ –	عباس لغرور–خنشلة–	مشرفا ومقررا
قري عالية	أستاذ محاضر – ب–	عباس لغرور–خنشلة–	رئيسا
بوشمال لياس	أستاذ مساعد – أ –	عباس لغرور–خنشلة–	مناقشا

السنة الجامعية: 2019/2018

إهداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى أمي الحبيبة إقرارا بعظيم فضلها و عرفانا لها بالجميل، إلى أبي حفظه الله

إلى إخوتي و أخواتي و إلى جميع عائلتي

إلى كل طلبة العلم و المعرفة

إلى كل الصديقات اللاتي جمعتني بهم محبة العلم

إلى كل من دعمني و علمني.

شکر و عرفان

الحمد و الشكر لله عز وجل الذي مهد لي السبيل و وفقني لإنجاز هذا البحث، و أتقدم بالشكر الجزيل لمن كانت لها الفضل بعد الله عز و جل في إخراج هذا البحث الأستاذة الدكتورة "جغبوب صورية" التي أحاطت هذا البحث بالاهتمام و تعهدته بالرعاية و التوجيه، جعلها الله ذخرا للعلم.

كما أتقدم بالشكر للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل المتواضع

و أتقدم بالشكر لجامعة عباس لغرور التي احتوتنا بنور العلم و المعرفة و خاصة قسم الآداب و اللغات، و لا يفوتني أن أشكر كل من قدم لي يد العون لإنجاز هذا البحث خاصة إخوتي.

مقدمة

مقدمة:

شهدت الدراسات اللغوية الحديثة تطورا ملموسا في النظريات اللسانية الجديدة التي قامت عليها التداولية وقد نشأت هذه الأخيرة في أحضان الفلسفة التحليلية و البلاغة، فهذا الإتجاه من اللسانيات المعاصرة يدرس اللغة أثناء الاستعمال و في المقامات المختلفة و ذلك بالتركيز على المتكلم و المتلقي، أي أن مجال البحث فيها هو دراسة اللغة و ربطها بالمقام الذي قيلت فيه، إذ تعد اللغة في المنهج التداولي جهازا نفعيا يحقق الوظيفة التواصلية و ذلك استنادا لعدة نظريات، نجد من بينها نظرية الحجاج التي تبحث في آليات ووسائل الإقناع انطلاقا من الحجج، فهي ممارسة فكرية يعتمدها المتكلم للتأثير على المتلقي بغية إقناعه و تغيير سلوكه، إذ تعد هذه النظرية ركيزة الخطابات و النصوص الموجهة المتضمنة للمقصدية و النقاش.

و من بين هذه الخطابات و النصوص نجد الخطاب القدسي، فهو من أهم الخطابات التي تتضمن مختلف أدوات الحجاج التي تؤدي إلى الإقناع و تنوير العقول لفهم الحياة بأدلة و براهين ثابتة، و لما كان الخطاب مركز اهتمام نظرية الحجاج و ذلك بالاهتمام بعناصره الأساسية المتمثلة في المتكلم و مقاصده بوصفه عنصرا أساسيا في عملية التواصل و الظروف السياقية بوصفها عناصر مساعدة في تأدية المقاصد، وصولا إلى مدى تأثير هذه المقاصد على المستمع – المتلقي- .

من هنا كان موضوع البحث: "الحجاج في الأحاديث المقدسة" و اعتمدت فيه على كتاب جامع الأحاديث القدسية لعصام الدين الصبابطي و للبحث في مدى توفر الأحاديث القدسية على الآليات الحجاجية يمكن صياغة اشكالية البحث في السؤال التالي: ما مدى توفر آليات الحجاج في الأحاديث القدسية؟ و كيف ساهمت هذه الآليات في عملية الإقناع و التأثير؟ و قد تفرع عن هذا السؤال عدة تساؤلات فرعية حاولنا من خلال هذا البحث الإجابة عنها تتمثل في: ما مفهوم الحجاج؟ و كيف نشأ عند

الغرب و العرب قديما و حديثا؟ و ما علاقة الحجاج بالتداولية؟ و كيف تم توظيف هذه الآليات في الأحاديث القدسية؟ و ماهي أهم الآليات الحجاجية التي وظفها الرسول صلى الله عليه و سلم فيما رواه عن ربه عز و جل في عملية الإقناع و التأثير؟

و تكمن أهمية هذا الموضوع في إبراز القضايا الدينية و الدنيوية الموجودة في الأحاديث القدسية و كيف بلغها الرسول صلى الله عليه و سلم بواسطة الأدلة و البراهين و الحجج ليحقق الوظيفة الحجاجية الإقناعية و القصد التبليغي من الخطاب القدسي و إبراز الأساليب البلاغية و البيانية و البديعية المتوفرة في الأحاديث القدسية و وظيفتها الحجاجية التبليغية، و إبراز الأساليب التداولية كالسلم الحجاجي و وسائله و أدواته المتوفرة في الأحاديث القدسية و وظيفتها الحجاجية في التبليغ و إقناع المتلقي .

أما أسباب اختيارنا لهذا الموضوع فتتمثل في:

- ❖ الرغبة في اكتشاف آليات النظرية الحجاجية و تتبعها في الحديث النبوي الشريف عامة و الحديث القدسي خاصة
- ❖ ربط السنة النبوية و الأحاديث القدسية بالدراسات اللغوية و البلاغية و التداولية.
- ❖ أهمية الحديث النبوي عامة و الحديث القدسي خاصة في اللغة العربية، فهو من أعرق نصوصها و أقدسها و أفصحها بعد القرآن الكريم، بالإضافة إلى هذا تعتبر نصوصه نصوصا خطابية و حجاجية بامتياز غايتها التأثير و الإقناع في المتلقي.

و قد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الوصفي التحليلي كونه الأنسب لمثل هذه الدراسة.

و من أجل ذلك اقتضت الدراسة خطة عمل تتضمن فصلين أحدهما نظري و الآخر تطبيقي تسبقهما مقدمة و تتلوهما خاتمة حيث جاء الفصل الأول بعنوان "الحجاج دراسة نظرية" و قد تناولت فيه

مفهوم الحجاج لغة و اصطلاحا، ثم تطرقت إلى نشأته عند الغرب و العرب، ثم ذكرت أنواعه ثم تعرضت إلى أهم عنصر فيه و هو آليات الحجاج، أما الفصل الثاني فطبقت فيه تقنيات المحاججة على الأحاديث القدسية و قد ختمت هذا البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة، و قد استدعت دراسة هذا الموضوع الاعتماد على مجموعة من المصادر و المراجع من أهمها "جامع الأحاديث القدسية" لأبي عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، الأحاديث القدسية لمحمد متولي الشعراوي، شرح الأحاديث القدسية على الاتحافات السنية لمحمد منير الدمشقي، و بعض أمهات الكتب مثل: الكتاب لسيبويه، و أسرار البلاغة للجرجاني بالإضافة إلى الكتب الحديثة مثل: اللسان و الميزان لطه عبد الرحمان، استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري، اللغة و الحجاج لأبي بكر العزاوي.

و في الأخير أتقدم بجزيل الشكر و العرفان للأستاذة المشرفة "جغبوب صورية" على توجيهاتها السديدة و نقدها البناء لهذا الموضوع، و نتمنى أن يكون هذا البحث في المستوى المطلوب، فإن كنا قد قصرنا فحسبنا أننا بلغنا ما لنا من جهد و إخلاص، و إن كنا أصبنا فبتوفيق من الله عز وجل، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و من سار على هديه إلى يوم الدين.

الفصل الأول:

الحجاج دراسة نظرية

المبحث الأول: الحجاج في الدرس التداولي

I. مفهوم الحجاج

أ. لغة

ب. اصطلاحا

II. الحجاج في الدراسات الغربية

أ. قديما

1- الحجاج عند السفسطائيين

2- الحجاج عند أرسطو

ب. حديثا

1- الحجاج عند شايم بيرلمان ولوسي أولبيرخت تيتيكا

2- الحجاج عند جان كلود انسكومبر وأوزوالد ديكرو

III. الحجاج عند العرب

أ. قديما

1. الحجاج في القرآن الكريم

1.1. الحجاج في القرآن الكريم

1.2. الحجاج في الحديث النبوي الشريف

I. الحجاج في البلاغة العربية القديمة

1-1- الحجاج عند الجاحظ: (ت 255 هـ)

1-2- الحجاج عند السكاكي: (توفي 626 هـ)

ب. حديثا

1) الحجاج عند طه عبد الرحمن

2) الحجاج عند أبو بكر العزاوي

3) الحجاج عند محمد العمري

IV. أنماط الحجاج

1- الحجاج التجريدي

2- الحجاج التوجيهي

4) ضوابط النص الحجاجي وخصائصه

أ. ضوابط النص الحجاجي

3- الحجاج التقويمي

ب. خصائص النص الحجاجي

1. القصد المعلن

أ. التناغم

ب. الاستدلال

ج. البرهنة

5) علاقة الحجاج بالتداولية

1. الحجاج عند أوستين

2. الحجاج عند سيرل

3. الحجاج عند ديكرو

المبحث الثاني: الآليات الحجاجية

I. آليات الحجاج اللغوية

1. ألفاظ التعليل
2. الأفعال اللغوية

II. آليات الحجاج البلاغية

III. آليات الحجاج شبه المنطقية

تمهيد:

يعتبر الحجاج ميزة من مميزات التخاطب الإنساني ويهدف إلى الإقناع والتأثير في المخاطب من خلال النصوص المتضمنة للنقاش والنقد والجدل، ومن بينها النصوص الدينية والأدبية والفلسفية إلى غير ذلك من النصوص وتكمن، أهمية الحجاج في الدراسة الحديثة إلى العودة القوية للبلاغة التي أصبحت تعرف بما يسمى "البلاغة الحديثة "وركزت هذه الأخيرة على جانبين أساسيين هما "البيان" و"الحجاج" كوسيلة أساسية من وسائل الاقناع، وقد تقاربت نظرة الدارسين اللغويين لمفهوم الحجاج في اللغة خاصة ورأو أنه يماثل الجدل والبرهان اللذان يستدل بهما المتكلم. وارتبط معنى الحجاج بالمفهومين اللغوي والإصطلاحي.

المبحث الأول: مفاهيم أولية حول الحجاج

I. مفهوم الحجاج :

أ- لغة :

ورد في المعاجم العربية ومنها لسان العرب **لابن منظور** ما يلي:

يقال: "حاججتُهُ أُحَاجُّهُ حجاجًا ومحاجَّةً حتى حجَجتَهَ؛ أي غلبتُهُ بالحجَجِ التي أدليت بها ... و المحجَّةُ: الطريق ... والحجَّة: البرهان، وقيل الحجَّة ما دفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجَّةُ الوجه الذي يكون به الظُّفر عند الخصومة... والتَّحاجُّ: التَّخاصم ... وحاجَّهُ محاجَّةً وحجاجاً نازعه الحجَّة ...

وفي الحديث: فحجَّ آدم موسى أي غلبه بالحجَّة، واحتجَّ بالشيء: اتخذه حجَّة، و الحجّةُ: الدليل والبرهان" [1]

يتبين من خلال هذا القول ان **ابن منظور** يقرن الحجة بالبرهان حينا و بالخصومة حينا آخر كما قرنها أيضا بالجدل، والحجاج هو الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، أي ما يدافع به الخصم من الأدلة والمغالبة بالحجة والدليل والبرهان.

أما ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة "يقال حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظُّفر يكون عند الخصومة، والجمع حجج والمصدر الحجاج" [2]

أي أن الحجاج يحمل طابع المنازعة والخصومة بين شخصين والحجة وسيلة يستعملها المتكلم للتغلب على خصمه وتكون الغلبة في الكلام والخطاب الذي يقيم الحجة والبرهان على صحة ما يدعي.

وجاء في معجم الصحاح **للجوهري** "والحجة والبرهان، تقول حاجه فحجَّةُ أي غلبه بالحجة وفي المثل "لج فحج" فهو رجل محجاج أي جدل، والتحاج: التخاصم" [3]

فعلى هذا يعني الحجاج النزاع و الخصومة بواسطة الأدلة والبراهين الكلامية والحجج العقلية، فيكون مرادفا للجدل، وهذا مايجعل من الحجاج والبرهان والجدل مصطلحات مترادفة لافرق بينها.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1990، 228/2.

[2] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، معجم مقاييس في اللغة ، تج ، شهاب الدين أبو عمران ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1991، 30/2.

[3] نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، دار الحديثة، بيروت، لبنان، ط2، 1999، 304/1.

نستنتج من خلال هذه التعاريف أن معنى الحجاج في اللغة هي جمله الحجج و الأدلة والبراهين التي تستعمل إما في التخاصم أو التنازع، و الحجه وسيله يستعملها المتكلم للتغلب على خصمه، وأصل الحجاج الخصومة والنزاع بواسطة الأدلة و البراهين الكلامية والحجج العقلية وهما لا يستلزمان العداوة بل الاختلاف مع الطرف الآخر لتحقيق الغلبة بالحجة والدليل والبرهان للوصول إلى غاية الحجاج وهي الاقناع والتأثير.

ب- اصطلاحا :

تنوعت رؤى اللسانيين المعاصرين العرب والغربيين حول مفهوم الحجاج وذلك بحسب تنوع اتجاهاتهم، ويتميز بكثرة الحقول المعرفية التي تناولته إذ نجده في الدراسات الفلسفية والمنطقية والبلاغية واللسانية والخطابة المعاصرة، وهو ما أدى إلى ظهور العديد من التعريفات لمصطلح الحجاج من بينها ما أشار إليه "**برلمان**" و "**تيتيكاه**" : "الحجاج طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم أو إلى زيادة درجات تلك الاستمالة " [1]

يظهر من خلال هذا التعريف أن معرفة كيفية استعمال تقنيات الخطاب يؤدي إلى كسب العقول والتسليم بالأطروحات المقدمة، وأن الوظيفة الأساسية للحجاج هي إقناع المتلقي بقضية ما أو الزيادة في شدة قناعته بتلك القضية.

[1] محمد العبد، النص والخطاب والإتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005، ص 188.

" فلفظة الحجاج والمحاججة عندهما تطلق على العلم وموضوعه، و مؤداها درس تقنيات الخطاب التي تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم" [1]

وقد ركز هذان الباحثان على الأدات الحجاجية أولا، والوظيفة التي تؤديها هذه الأداة ثانيا، فالخطاب الحجاجي يتظمن العلاقة الحوارية التي تتجسد بين الخطيب وجمهوره وفق تقنيات معينة يحاول بواسطتها كل منهما إقناع الآخر باستعمال الحجج العقلية والمنطقية.

ويرى **فيليب بروتون:** "أن الحجاج ينتمي إلى عائلة الأفعال الإنسانية التي هدفها الإقناع، ومن خصوصياتها التسلح ببرهنة عقلية حجاجية ضمن سياق تواصلي ما" [2]

بمعنى أن الحجاج فعل خطابي إنساني موجه من مرسل لمتلقي يعوم على سلسلة من الحجج تتحقق في سياقات مقامية مختلفة وهدفها تحقيق الغاية الأساسية من الحجاج وهي تحقيق التواصل.

و تعرفه **روث أموسي:** "أنه بمثابه محاولة إقناعية جادة لتغيير رؤى العالم عند الغير أو التأثير عليه أو تقوية هذه الرؤى عن طريق وسائل اللغة" [3]

أي أن الحجاج هو توجيه الخطاب إلى المتلقي من أجل تعديل رأيه او موقفه أو سلوكه تجاه قضية معينة، حيث يتعلق الإقناع بالمتلقي، وإفحامه بحجج لغوية.

---

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرءان الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ض 27.

[2] جميل حمداوي، نظريات الحجاج، شبكة الألوكة، دط، 2015، ص44.

[3] المرجع السابق، ص 45.

بلإضافة إلى ذلك هناك العديد من التعريفات التي قدمها بعض الباحثين العرب المحدثين للحجاج، ولا سيما منهم من نظر إليه بلاغيا أو لغويا، ومن أبرز هذه التعريفات ما قدمه طه عبد الرحمن في قوله: "حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها" [1]

وهذا معناه أن الحجاج يتعدى المعرفة المبسطة فيما نطق به المتكلم لتتعلق بما هو متضمن في المنطوق، ويقوم الحجاج بين طرفين مرسل ومستقبل يقوم أحدهما بإبلاغ الآخر شيئا ما مع دعمه بحجة بغية إفهامه، فالمخاطب يحق له الاعتراض على كلام المرسل وإبداء رأيه وفي المقابل يحاول المتكلم التمسك بوجهة نظره.

وعرفه أبو بكر العزاوي بقوله: " أن الحجاج هو تقديم الحجج و الأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنتاج تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب" [2]

بمعنى أن الحجاج هو فعل خطابي موجه من مرسل لمتلقي و هدفه الاقناع والتأثير بواسطة الأدلة والبراهين، وقد نظر أبو بكر العزاوي إلى الحجاج من منظور لغوي حيث جعله مؤسَّسًا على بنية الأقوال اللغوية و على تسلسلها وفعلها داخل الخطاب.

ويرى عبد الهادي بن ظافر الشهري: " أن الحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها وتتجسد عبرها استراتيجية الإقناع " [3]

[1] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1998، ص 226.

[2] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع الأحمدية، الدار البضاء، المغرب، ط1، 2006، ص 16.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب–مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 446.

فالخطاب الحجاجي يكون موجها الى متلقي قصد إقناعه والتأثير فيه بواسطة اللغة، والحجاج علاقة تخاطبية بين المتكلم والمستمع حول قضية ما، وذلك بهدف التأثير والإقناع.

من خلال هذه التعاريف والمفاهيم المختلفة في الحضارتين الغربية والعربية يتضح أنه علاقة تخاطبية بين متكلم ومستمع حول قضية ما، يقوم على سلسلة من الحجج المنطقية والعقلية التي تتحقق في سياقات لغويه مختلفة هدفها التأثير والإقناع.

II. الحجاج في الدراسات الغربية

أ- قديما:

ظهر مصطلح الحجاج في الدراسات الغربية القديمة مع بداية الحضارة اليونانية والرومانية، ويعود ظهور النظريات الأولى للحجاج إلى ما بين 440 إلى 450 قبل الميلاد وذلك في صقلية باليونان، وقد انقسمت هذه الأخيرة إلى مرحلتين فترة ما قبل أرسطو وفترة أرسطو.

1- الحجاج عند السفسطائيين:

شهدت أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد ولادة المنطق الصوري والجدل والخطابة ويمثل السفسطائيون* النظرية الحجاجية ، ونجد من أشهرهم "كوراكس و جورجياس و تيسياس و بروتاغوراس وبريديكوس و تراديماخوس وهيباس وكريتياس" [1]

وكانوا معلمي الخطابة و البلاغة الإقناعية "لكن عيب عليهم أنهم لا يتقيدون بضوابط الحقيقة مما أدى إلى نقدهم ، فأرسطو يرى أن السفسطة استدلال صحيح في الظاهر معتل في الحقيقة، أما أفلاطون فيصورهم أنهم قوم يجتمعون على تظليل الشباب ونشر الأوهام و الأغاليط بين الناس، عمدتهم في ذلك أسلوب التهيج العاطفي وشحن المشاعر لكي تغيب كل ملكات التفكير الهادئ والمتزن و يغيب الحس الحي النقدي فيقع الشباب في براثنهم بسهولة"[2].

وهذا يعني انهم يستعملون حججا قائمة على المغالطة في كثير من الأحيان وذلك من أجل الانتصار على الخصم أو تحقيق هدف براغماتي مثل: "الأجر الباهظ الذي كان يطلبه كبير السفسطائيين بروتاغوراس مقابل دروسه في الخطابة"[3]

---

[1] رشيد الراهني، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، التوجه التداولي الجدلي _ أنموذجا _، مجلة عالم الفكر، المجلد 36 العدد 4، افريل 2008،ص 20.

* السوفسطائية: تعتبر حركة فلسفية ظاهرة اجتماعية برزت في القرن الخامس قبل الميلاد.

[2] المرجع السابق، ص 130.

[3] محمد الولي، مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، مج40، العدد2، أكتوبر _ ديسمبر 2011، ص21.

وعلى الرغم من ذلك فقد اهتموا بأهم الطرق التي تؤدي الى الاقناع والتأثير وظهرت ممارساتهم للحجاج بشكل جلي وواضح من خلال الجدل والخطابة خاصة.

2- الحجاج عند أرسطو:

عرفت البلاغة الحجاجية تطورا وتوسعا مع أرسطو، وقد اتخذ منها منهجا جديدا للدراسة، ويعد أرسطو من أوائل الفلاسفة اليونان الذين كتبوا في الحجاج وذلك من خلال مؤلفه "الخطابة"، وقد درس فيه علاقة الجدل بالخطابة ، وأسس دراسته على دعامتين أساسيتين "الأولى يختزلها مفهوم الاستدلال، والثانية تقوم على البحث اللغوي الوجودي"[1]

فالدعامة الأولى عنده تأسست على الاستدلال، "والاستدلال حسب رأيه تفكير عقلي يؤدي الى إنتاج العلم، فهو ينطلق من مقدمات للوصول إلى نتائج، وبالتالي فالخطاب الحجاجي متضمن في البلاغة والفلسفة"[2].

أما الدعامة الثانية عند **أرسطو** فتتمثل في "البحث اللغوي وعلاقاته بالإنسان وهذا يعني أن وجود البحث اللغوي متعلق بوجود الانسان لأنه يحيا باللغة باعتبارها وسيلة من وسائل التواصل والفهم"[3].

ويرى **ارسطو** "أن الخطابة هي الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع حيث حصرها في ثلاث مستويات من الحجج، الأيتوس، الباتوس واللوغس"[1].

[1] عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2013، ص 31.
[2] ينظر: محمد ظروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة ، المغرب، ط1، 2005، ص 15.
[3] المرجع السابق، ص16.

ويقابلها في الخطاب المعاصر الخطيب، المستمع، الخطاب "وهي تعتمد على مقومات أخلاقية تخص الأيتوس و مقومات عاطفية تخص الباتوس و مقومات عقلية لغوية تخص اللغوس"[2] .

ونستنتج مما سبق أن معالم الدرس الحجاجي اتضحت مع أرسطو من خلال مدوناته وأعماله خاصة كتاب "الخطابة" الذي اعتبر فيه الحجاج جزء لا يتجزأ من الخطابة وركز فيه على الوظيفة الإقناعية.

ب- حديثا:

الحجاج نظرية غربية حديثة تشمل جانبين جانب تداولي ظهر مع اعمال "ديكور"، وآخر بلاغي ظهر مع أعمال "بيرلمان"، كما نجد الكثير من الباحثين ساهموا في اثراء الدرس الحجاجي، وسنكتفي هنا بعرض جهود أهم الباحثين واسهاماتهم في الدرس الحجاجي:

1- الحجاج عند شايم بيرلمان ولوسي أولبيرخت تيتيكا:

يعد كتاب **بيرلمان** و **تيتيكا** " مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة "من بين أهم الكتب المعاصرة التي اهتمت بموضوع الحجاج وألمت بمختلف قضاياه، "فقد ظهر هذا الكتاب سنة 1958 وأعيد طبعه منذ ذلك التاريخ عدة طبعات"[3]، فالبلاغة الجديدة "تعرف بأنها نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية و تسعى الى اثارة النفوس

[1] عبد اللطيف عادل، بلاغة الاقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط – المغرب، ط 1، 2013 ، ص31.
[2] ينظر: محمد ظروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 18.
[3] عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1، 2011، ص 11.

كسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتم البلاغة الجديدة بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب ثم يتطور، كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور[1]"

ومنه فإن البلاغة الجديدة "تركز أساسا على تحليل تقنيات الحجاج، و يتم تقسيم هذه التقنيات إلى محورين، محور الخطاب ذاته من جهة، ومن جهة أخرى محور تأثير هذا الخطاب على المتلقي وفي هذه الحالة تتم دراسة الموقف التواصلي الذي يمثل فعل الحجاج"[2].

وعليه فإن أهم غاية يرمي إليها هذا الكتاب "هي إخراج المحاجج من الخطابة والجدل فالباحثان قد عملا من ناحية أولى على تخليص الحجاج من التهمة بأصل نسبه وهو الخطابة، وهذه التهمة هي تهمة المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور وبعقله أيضا، وعمل البحثان من ناحية اخرى على تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب، فالحجاج عندهما معقولية وحرية وهو حوار من أجل الحصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة، ومن أجل حصول التسليم برأي الآخر بعيدا عن الاعتباطية واللامعقول اللذان يطبعان الخطابة عادة وبعيدا عن الالزام والاضطراب الذين يطبعان الجدل ومعنى ذلك كله أن الحجاج عكس العنف بكل مظاهره"[3]

[1] صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق– سوريا، الإصدار الأول، 2008 ، ص 15.

[2] ينظر: فيليب بروتون و جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، السعودية، ط1، 2011، ص 46.

[3] عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس،ط1، 2011 ،ص11.

بمعنى أن الهدف من كتاب "البلاغة الجديدة" هو إخراج الحجاج من سيطرة الخطابة والجدل الذي ظل لفترات طويلة مرادفا للمنطق نفسه، لذلك حاول الباحثان إعادة صياغة مفهوم الحجاج على عكس المفهوم الذي كان شائعا عند "**أرسطو**" والذي كان مرتبطا بالخطابة والجدل و بصرامة المنطق، فربط البحثان الحجاج بالحوار والحرية والعقل ، والحجاج الذي يمتاز بمناورة السفسطائيين في عهد أرسطو وأفلاطون تمكن من الاستحواذ على العقول من خلال التملق بالكلام وبالتالي الوصول الى السلطة، في حين أن حجاج برلمان وزميله يمنح الحرية للمستمع ويخلصه من قيود الاستدلال الذي يضعه رهينة الخضوع والاستسلام ويختار الحقيقة.

من خلال ما سبق عرضه حول جهود الباحثين نستنتج أن نظرية البلاغة الجديدة التي وضع أسسها **برلمان وتيتيكا** تمثل بداية لصياغة نظرية الحجاج في أحسن صورة قابلة للدراسة وذلك من خلال وضعهما تقنيات للخطاب تتميز بقوة إقناعية ووضع مقدمات مبنية على حجج واقعية ومنطقية ودقيقة قصد الوصول إلى تحقيق الإقناع الذي هو هدف الحجاج عندهما.

2- الحجاج عند جان كلود انسكومبر وأوزوالد ديكرو:

تطرق كل من **انسكومبر و ديكرو** للحجاج اللغوي وذلك من خلال كتابهما ""الحجاج في اللغة" (سنة 1983) حيث عرض فيه مفهوم الحجاج وآلياته، وهو يختلف عن المفاهيم

السابقة لأنه حجاج لساني بحت"[1]، وقد اعتبر العالمان ان الحجاج يكمن في جوهر اللغة بغض النظر عن استخدامها، وعرف الحجاج عندهما في حقل التداولية المدمجة والتي تعتبر ان التداولية جزء مدمج في الدلالة، وبهذا كان "مجال البحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة ويكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية لا الخبرية الوصفية المسجلة في بنية اللغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن مما سيكون أداة فاعلة لبناء النص الحجاجي"[2].

وهذا يعني أن عنصر الحجاج باعتباره فعلا لغويا موجودا في بنية اللغة ذاتها، فهي تتكون من الجزء التداولي الذي يكون مندمجا في الدلالة وهو ما يعرف بالتداوليات المدمجة التي تبحث في القوانين الداخلية الخطاب.

و موضوع الحجاج في اللغة عند انسكومبر و ديكرو كامن في بنية اللغة ذاتها.

وقد عرف العالمان الحجاج من حيث بنية اللغة ذاتها بقولهما: "هو تقديم المتكلم قولا (ق1) يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2) على ان هذا القول (ق1) يمثل حجه ينبغي أن تؤدي الى ظهور قول (ق2) ويكون هذا الأخير قولا صريحا او ضمنيا، ومن ثمة يعد

[1] ينظر: خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية – مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم – بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، (دس)، ص108.

[2] شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، نقلا عن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، اعداد فريق البحث في البلاغة والحجاج، اشراف حمادي صمود، ص 351.

الحجاج انجازا لعمليتين هما عمل التصريح بالحجة من ناحية وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى سواء كانت النتيجة مصرحا بها أو ضمنية"[1].

بمعنى أن الحجاج في اللغة يجعل الأقوال تتابع بشكل دقيق وان المتكلم يجعل قولا ما حجة إذا اقتنع بها المتلقي، فالحجاج عند ديكرو وانسكومبر محصورا داخل أبنية اللغة لأن اللغة تقوم في الأساس على وظيفة حجاجية.

ونستنتج مما سبق أن **ديكرو وانسكومبر** قاما بحصر الحجاج في بنية اللغة، وانطلاقا من فكرة أساسية وهي ان المخاطب يوجه كلامه للمتلقي بقصد التأثير، ومنه فإن الحجاج اللغوي عند الباحثين قد تجسد من خلال المبادئ التي وضعاها في كتابهما "الحجاج و اللغة" و هي نظرية لسانية خالصة.

III. الحجاج عند العرب:

يعد الحجاج من أهم القضايا التي اهتمت بها البلاغة الغربية وقد تناول الكثير من العلماء العرب القدامى والمحدثين مصطلح الحجاج كل حسب توجهه وقد تميز الحجاج عند العرب بثقافتهم ودينهم الإسلامي الحنيف.

[1] محسن بن عامر، البعد الحجاجي في مرزبان نامه لابن عريشاه– الباب الثالث– أنموذجا، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، العدد العاشر والحادي عشر، جانفي– جوان 2012 ، ص 221 .

أ- قديما :

ورد مصطلح الحجاج في التراث العربي من خلال المصنفات القديمة بتسميات مختلفة كالجدل والبيان والبرهان وغيرها، وكانت استراتيجية الاقناع واضحة بالحجاج في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

1. الحجاج في القرآن الكريم والحديث النبوي/القدسي

1.1. الحجاج في القرآن الكريم

لقد ورد لفظ الحجاج بمختلف صوره ومعانيه في القرآن الكريم، فالحجاج عند العرب القدامى هو نفسه الجدل ونلمسه في آيات كثيرة، وقد وردت كلمه الحجاج في القرآن الكريم بصيغ ثلاث :

- أحيانا تكون فعلا ماضيا، نحو: (حاج، حاججتم، حاجه،...) ومن ذلك قوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ}** البقرة 258 .

وقد فسرها الطاهر بن عاشور في قوله: "معنى حاجَّ خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة ولا يعرف لحاجَّ في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي اشتق منها، ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى، مع أن حاجَّ لا يستعمل غالبا الا في معنى المخاصمة وأن الأغلب أن يفيد الخصام بباطل"[1].

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د ط، د ت، ج 3، ص 31- 32.

بمعنى أن المجادلة منازعة بين الطرفين، والحجة منازعة بالقول. والفعل حاجَّ بمعنى المخاصمة بباطل وليس بحق وقد جعل ابن عاشور الحجاج مرادف للجدل.

وأحيانا فعلا مضارعا، نحو:(يحاج، تحاج،...)، ومن ذلك قوله تعالى: { **وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ..**} (البقرة 16).

وأحيانا أخرى ورد اسم، نحو: (حجة، حججتم، حجتنا،...)، ومن ذلك قوله تعالى: (الشورى/ 15).

ويظهر مما سبق ذكره أن الحجاج كان حاضرا في القرآن الكريم بمختلف صوره ومعانيه " فالقرآن الكريم مليئ بالحجج والبراهين في مختلف المجالات، وتسمية مقاطعة بالآيات لكونها تدل على الحقائق التي تهدف الى اقناع الآخر" [1] ، وقد جعل الطاهر بن عاشور في تفسيره للآية الحجاج مرادف للجدل.

1.2. الحجاج في الحديث النبوي الشريف والحديث القدسي

نجد العديد من مشتقات مصطلح الحجاج في الحديث النبوي، فمن خلال صحيح البخاري نجد الحديث التالي:

قال رسول الله ﷺ: { **إنكم تختصمون إلَيَّ ولعَلَّ بعضَكُم الحَنُ بحجَّتِه من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيء بقوله فإنَّما أقطع له قطعة من النَّار فلا يأخذها**}[2] و المقصود

[1] مهابة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم –دراسة مصطلحية- مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 18، 515/3.

[2] أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تقديم: أحمد محمد شاكر، دار ابن الجوزي ، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص 36.

بحجته من خلال الحديث " الدليل الصادق أي الحن بترك الحيل"[1]، فالحجَّة الصادقة هي التي يحكم بها الرسول ﷺ على المتخاصمين.

وفي الحديث القدسي:

قال النبي ﷺ: { **تحاجَّتِ الجنَّةُ والنَّار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: مالي لا يدخلني اِلاَّ ضُعفاءُ الناس وسقطهم، قال تبارك وتعالى للجنة: أأنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحده منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشأ لها خلقا**}[2].

وفي هذا الحديث معنى قوله "تحاجت النار أي تخاصمت" [3] ومنه نستنتج أن الحجاج ورد في الحديث النبوي بمعاني مختلفة فالحجة هي الدليل الصادق الخالي من الحيل والكذب، و الفعل حج بمعنى غلبه بالحجة، وفي الأخير الفعل تحاجت بمعنى تخاصمت، والملاحظ أن هذه المعاني تتوافق مع معاني مادة (حجج) و (حج) في المعاجم اللغوية، بالاضافة إلى هذا أيضا نجد أن الحجاج تجسد في الحديث النبوي من خلال أساليب النبي ﷺ وحكمته في اقناع المخاطب.

---

[1] أحمد بن علي بن حجر السقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، لبنان،دط، دت، 173/13.

[2] أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ص 151.

[3] أحمد بن علي بن حجر السقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 597/8.

I. الحجاج في البلاغة العربية القديمة

لقد وظف أقطاب البلاغة العربية القديمة الحجاج في مؤلفاتهم إذا شكل بنية أساسية في ابداعاتهم، ويمكن الوقوف على محاولتين مهمتين في دراسة الحجاج لكل من الجاحظ و السكاكي:

1-1-الحجاج عند الجاحظ: (ت 255 هـ)

يعد الجاحظ مدافعا عن الحوار وثقافته، وقد حاول وضع نظرية لبلاغة الحجاج والإقناع والتي يسعى من خلالها إلى مراعاة أحوال المخاطبين "وقد تناول الجاحظ استراتيجية الإقناع في كتابه "البيان والتبيين""[1] إذ نجده يجعل الحجاج مرادفا للبيان في قوله: "والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، و من اي جنس كان ذلك الدليل لأنه مدار الأمر والغاية التي يجري إليها السامع والقائل ، وإنما هو الفهم والإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[2].

وقد ربط البلاغة بالإقناع من خلال وظيفتي الإفهام والإقناع ومن خلال تركيزه على عنصري المقام والمتلقي، "فبلاغة الجاحظ تكتسي بعدا تداوليا، لأنها تعنى بقضية الإفهام

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، مقاربة لغوية تداولية –استراتيجيات الخطاب-، ص 448.

[2] الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد، دار الجيل، بيروت، دط ،دت، ج 1، ص 76.

والإقناع، اي إفهام السامع واقناعه"[1]، فالبيان عنده تتنازعه وظيفتان أولهما إفهامية، والثانية حجاجية إقناعية.

1-2-الحجاج عند السكاكي: (توفي 626 هـ)

لقد اقر السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم" بتقاطع علمي المعاني والبيان مع النحو من جهة و المنطق والاستدلال من جهة اخرى وذلك في قوله: "أوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان... وتمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال"[2].

ومما نلاحظ أن " الدراسات الحجاجية المعاصرة تركز على علاقة البلاغة بالنحو وما يدل على ذلك أبحاث "أوزوالد ديكرو" حول العوامل و الروابط الحجاجية" [3]، كما نجد السكاكي قد ربط البيان بالدليل في قوله: "من أتقن أصلا واحدا من علم البيان،كأصل التشبيه أو الكناية أو الاستعارة، و وقف على كيفية مساقه لتحصيل المطلوب به، أطلعه ذلك على كيفية نظم الدليل"[4].

بمعنى أن البيان وفروعه الاستعارة والتشبيه والكناية ...،إذ تعد هذه الصور بمثابة الحجة أو الدليل الذي يستعمله المتكلم لإقناع المتلقي والتأثير فيه. بالإضافة الى هذا نجد أن "بلاغة السكاكي ركزت على المقام و المستمع و جعلتهما مدار علمي البيان والمعاني"[5]،

[1] عبد اللطيف عادل، بلاغة الاقناع في المناظرة، ص 76.
[2] يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد علي السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زوزو، العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 1987 ، ص 06.
[3] عبد اللطيف عادل، بلاغة الاقناع في المناظرة، ص 65.
[4] يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد علي السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زوزو ، ص 182.
[5] المرجع السابق، ص 76

ذلك في قوله: "لا يتضح الكلام إلا بالتعرض لمقتضى الحال" ويقول أيضا: "لكل مقام مقال"[1].

ومنه يبرز أن الحجاج عند السكاكي ينطلق من فكرة مقتضى الحال ولكل مقام مقال، والبيان هو وسيلة للاستدلال والصور البيانية تؤدي وظيفة حجاجية عند السكاكي ويضاف إلى هذين العالمين الجاحظ و السكاكي عدة علماء اهتموا بالحجاج في البلاغة العربية القديمة أمثال أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" وابن وهب في كتابه "البرهان في وجود القرآن" و حازم القرطاجنّي في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" وغيرهم من العلماء الذين اهتموا بمستويات الحجاج المختلفة.

ب-حديثا :

أولى العرب المحدثون اهتماما كبيرا بالحجاج، وظهر ذلك في العديد من الكتب والمجلات والمقالات، والتي عملت على الاستفادة من التراث العربي القديم واعتماد الأطروحات المعاصرة ومن بين ابرز الدارسين الذين اهتموا بالحجاج نجد طه عبد الرحمن أبو بكر العزاوي و محمد العمري وغيرهم.

1) الحجاج عند طه عبد الرحمن:

تتميز نظرته للحجاج بطابعها الفلسفي، لكونه أستاذ المنطق وفلسفة اللغة وقد جمع بين التراث العربي والحديث الغربي، وتجسدت نظرية الحجاج عند طه عبد الرحمن من

[1] ينظر: يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد علي السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زوزو، ص 168

خلال كتابه "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"، حيث عقد فيه بابا تحت عنوان "الخطاب والحجاج" فهو يرى "ان الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية بناءًا على أنه لا خطاب بغير حجاج"[1].

فالحجاج عنده هو الأصل في الخطاب او هو صفة للخطاب. وحد الحجاج عنده "أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[2].

وهذا التعريف يركز على " قصدين معرفيين، قصد الادعاء المتعلق بالمتكلم وقصد الاعتراض المتعلق بالمخاطب كما نلاحظ ان لهذا التعريف شرطان أساسيان هما: المنطوق به؛ وهو الكلام الموجه للغير وإفهام الغير: وهو الشرط الثاني للعملية الحجاجية، إذ لا يكون المنطوق به حتى تحصل من الناطق إرادة افهام الغير" [3]، إذن فالحجاج عند طه عبد الرحمن يستقر عند الشروط التالية:

المنطوق، إفهام الغير، الادعاء والاعتراض.

وقد أورد في هذا الكتاب أيضا أنواع الحجج و أصناف الحجاج وركز على السلم الحجاجي بوصفه عمدة في الحجاج، وتناول الاستعارة من وجهة نظر حجاجية، كما لم يغفل في كتابه الآخر **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام** عن "خاصية أخرى للحجاج وهي الحوارية وقد جعلها في مراتب ثلاث: الحوار، المحاورة والتحاور"[4].

---

[1] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان او التكوثر العقلي، ص 9.

[2] المرجع نفسه، ص 226.

[3] ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان او التكوثر العقلي، ص 227-228.

[4] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب ، ط2، 2000، ص 31-32.

وهذه المراتب حسب رأيه يجب اتباعها ولا يمكن الاستغناء عنها.

و نستنتج مما سبق عرضه أن طه عبد الرحمن حاول من خلال كتابيه إيجاد منطق لغوي ليصل الى نظرية حجاجية تتميز بقوة المنطق وسلاسة اللغة مع مراعاة الجانب التداولي في إعطاء حق الاعتراض للمتلقي.

2) الحجاج عند أبو بكر العزاوي:

تمتاز نظرته للحجاج بطابعها اللساني؛ لأنه ينطلق في أبحاثه من مبدأ عام هو " لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل" [1]، واعتمد في دراسته للحجاج على استثمار النظريات الغربية وترجمتها، "كما أسهم في هذا المضمار يعدد من المقالات التي تنوعت بين دراسة الشعر والنثر دراسة حجاجية" [2].

ويعتبر كتابه (اللغة والحجاج) من أكثر الكتب الملمة بقضايا الحجاج حيث تعرض فيه للحجاج والقوة الحجاجية كما تعرض للسُّلم الحجاجي و الروابط والعوامل الحجاجية والأفعال اللغوية و الاستعارة الحجاجية، وقد عرف العزاوي الحجاج بقوله: " أنه تقديم الحجج و الأدلة المؤدية الى نتيجة معينه، وهو يتمثل في إنتاج تسلسلات استنتاجيه داخل الخطاب"[3].

ومنه يتبين أن أبو بكر العزاوي نظر الى الحجاج من منظور لغوي، حيث جعله إنتاج تسلسلات داخل الخطاب، وهو مؤسس على بنيه الأقوال اللغوية وتسلسلها وفعلها داخل الخطاب.

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 10.
[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 452.
[3] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 14.

ويتبين مما سبق ذكره أن الحجاج عند ابو بكر العزاوي يتميز بطابعه اللساني البحت و نظر الى الحجاج من منظور لغوي، حيث انطلق من مبدأ "لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل".

3) الحجاج عند محمد العمري:

يعد محمد العمري من أبرز البلاغيين العرب اهتم بمقولات البلاغة المعاصرة عامة و الحجاجية خاصة، ويرى بأن الحجاج يتميز بالطابع الإقناعي وذلك من خلال مؤلفه " في بلاغة الخطاب الإقناعي" حيث تعرض فيه الى الحجج والبراهين الخطابية، ومقامات الخطاب (دينية، سياسية، اجتماعية)، كما تعرض فيه أيضا إلى صور الحجاج (القياس، المثال، الشاهد)، ويظهر جليا من خلال كتابه هذا تأثره بفلاسفة اليونان إذ يقول: " وقديما حمل أفلاطون في محاوراته على الخطابة لاهتمامه بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة"[1].

بمعنى أن أفلاطون اهتم ببلاغة الإقناع وفي موضع آخر يقول: " وبدأ الحنين من جديد إلى ريطورية أرسطو الذي تُوصِل الإقناع في كل حالة على حدة بوسائل متنوعة حسب الأحوال"[2].

بمعنى أن طريقة أرسطو في الإقناع تعتمد على وسائل متنوعة كما نجد في كتابه بعد تداوليا، حيث عقد فصلا حول مقام الخطاب يبرز فيه الدور الذي تلعبه بلاغة الخطابة في التأثير على أحوال الناس .

[1] محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية في القرن الأول – أنموذجا– أفريقيا الشرق، بيروت، ط1، 2000 ، ص 13.

[2] المرجع السابق، ص 14.

" ففي مقام الخطابة السياسية تتنوع أساليب المحاورة بين الأنداد، النصح، المشاورات و المناظرات.

وفي هذه الأحوال كلها يميل الخطباء إلى الهدوء ومحاولة الإقناع بالحجة والدليل والمنطق"[1].

أما الخطب الاجتماعية فتصنف إلى صنفين نظرا لكثرة موضوعاتها، موضوعات اجتماعية.

" فالخطب ذات الموضوعات الاجتماعية تتناول العلاقة بين الناس وتنظيم المجتمع، أما الخطب ذات الطبيعة الوجدانية هدفها المشاركة في المسرات والأحزان، و كلاهما يعتمدان الحجج المقنعة والأحوال المؤثرة"[2].

ومنه نستنتج أن الحجاج عند محمد العمري يتميز بالطابع الإقناعي وقد تبين ذلك من خلال مؤلفه "في بلاغة الخطاب الإقناعي" الذي تَعرَّض فيه للحجج والبراهين الخطابية و مقامات الخطاب، كما تَعرَّض فيه لصور الحجاج.

فمن خلال آراء المحدثين حول الحجاج يمكن أن نصل إلى نتيجة عامة وهي أن الحجاج عبارة عن خطاب إقناعي موجه للغير، قصد افهامه والتأثير فيه.

[1] المرجع السابق، ص 60.
[2] المرجع السابق، ص 62.

IV. أنماط الحجاج:

اختلفت وجهات نظر الباحثين في تحديد أنواع الحجاج وتعددت آراؤهم في ذلك، ويمكن تصنيف الحجاج الى ثلاثة أنواع لا على سبيل الإحصاء وإنما على سبيل الحصر، كونها الأكثر تناولا من حيث الدراسة وهذا ما نجده عند "طه عبد الرحمن" الذي يصنع ثلاثة أقسام للحجاج وهي :

1- الحجاج التجريدي :

ويقصد به: " الاتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان علما أن البرهان هو الاستدلال الذي يُعنى بترتُّب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها"[1]

وهذا يعني أن الحجة التجريدية تركز على الصورة و الشكل والغاء المضمون و المقام، وهذا النوع من الحجاج هو علاقة تخاطبية بين متكلم ومستمع حول قضية ما، يحاول من خلالها المرسل اقناع المتلقي بتلك القضية أو الزيادة في درجات تلك القناعة، وهو من المراتب الدنيا للمقام.

[1] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان او التكوثر العقلي، ص 226.

2- الحجاج التوجيهي :

هو فعل توجيه الحجة وإحداث نوع من التواصل و يقصد به: "إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختصُّ به المستدل علما بأن التوجيه هنا هو فعل ايصال المستدل لحجته إلى غيره" [1]

فالحجة التوجيهية تهتم بالمعنى والمضمون زيادة على الصورة والشكل لتحقيق الوظيفة التواصلية أو الغرض من الحجاج.

"ويمثل لهذا النوع من الحجاج بالأفعال اللغوية التي تفي فقط بالجزء الذي يخص المرسل من الاستدلال لأنه يفرض حجج المرسل اليه" [2]

وهذا النوع من الحجاج تدعمه نظرية افعال الكلام التي تربط الأفعال بالقصد والفعل وهما أساس التوجيه.

إذا يتوقف الحجاج التوجيهي على فاعلية المرسل وإلغاء دور المتلقي.

3- الحجاج التقويمي:

ويقصد به: " إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه"[3]

[1] المرجع السابق، ص227.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص470.

[3] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان او التكوثر العقلي، ص 228.

فالحجة المقومة تهتم بدور المخاطب عن طريق الحوار القائم بين المخاطب ونفسه، وهو ما يسمى بالتشخيص في النظرية اللسانية؛ اي أنه "يبنى على اعتبار فعل الالقاء وفعل التلقي معا على سبيل الإقتران و الإستلزام"[1].

وبناء على ما سبق يتبين أن الخطاب الحجاجي يبنى على العلاقة التخاطبية بين المرسل والمرسل إليه، وهذه العلاقة تبنى على ثلاثة أصناف للحجاج وهي: الحجاج التجريدي الذي يُنبنى على اعتبار الصورة وإلغاء المعنى والمضمون، والحجاج التوجيهي الذي يبنى على توجيه المرسل حجته إلى غيره، والحجاج التقويمي ويبني على اعتبار فعل الالقاء وفعل التلقي معا على سبيل الجمع و الاستلزام.

4) ضوابط النص الحجاجي وخصائصه:

أ. ضوابط النص الحجاجي :

تتحكم في النص الحجاجي عدة ضوابط ينفرد بها عن غيره من النصوص، و التي يفترض من المرسل أن يلتزم بها ومن بين هذه الضوابط نذكر ما يلي: [2]

- أن يكون الحجاج في إطار العديد من الثوابت منها الثوابت الدينية والعرفية والأخلاقية، فليس كل موضوع قابل للنقاش أو الحجاج، فهناك الكثير من المسلمات يجب احترامها كاللغة والدين والثقافة فلا يمكن أن تقدم خطابا باللغة

[1] المرجع نفسه، ص 229.

[2] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص465-466.

العربية إلى مخاطب غير عربي و لا يفهم اللغة العربية وبالتالي لا يمكنه الفهم والإقتناع.

- الابتعاد عن التناقض في الأقوال والأفعال، وأن يكون الحجاج موافقا لما يتقبله العقل، وإلا بدا زيف الخطاب وضعف الحجة.
- ضرورة خلو الحجاج من الإبهام والمغالطة والابتعاد عنه لأنه لا يخلو منهما عادة؛ فقد يكون معنى الحجاج غير واضح فلا يستطيع المرسل إليه اكتشافه إلا بعد حين، مثال ذلك: رجل أراد خطبة فتاة من اهلها فوصف نفسه بأنه مهم إلى درجة أن الناس يصفقون له عند رؤيته اعتقد أهل الفتاة أنه شخصية مرموقة لكن اتضح أنه كان نادلا في أحد المطاعم.
- إمتلاك المخاطب لثقافة واسعة خصوصا ما تعلق بالموضوع الذي يدور ضمنه الحجاج، مثل المجال الديني أو السياسي أو الثقافي فبقدر اتساع ثقافة المخاطب بقدر تعدد حجته واتساعها.
- أن يكون الموضوع مشترك في الإطلاع والمعرفة بين المرسل والمرسل إليه مما يبسط قبول المرسل إليه لحجج المرسل وفهمها ومناقشتها وإلا انقطع الحجاج بينهما واستحالة عملية الفهم والإقناع.

- فمن خلال ما سبق يتبين أن النص الحجاجي يخضع لضوابط وشروط يستطيع من خلالها المحاجج تحقيق الغاية الأساسية من الحجاج وهي الوظيفة التواصلية.

ب. خصائص النص الحجاجي :

يعتبر النص الحجاجي نصا برهانيا يهدف الى التأثير والإقناع ، فالخطاب الحجاجي متميز يختلف عن غيره من الخطابات الأخرى ، وقد حاول بعض الدارسين تحديد خصائصه ومن ذلك ما قام به (بنوار رونو) من خلال كتابه النص الحجاجي حيث استخلص الميزات التالية :

1. القصد المعلن:

المقصود به " البحث عن إحداث أثر ما في المتلقي أي إقناعه بفكرة معينة ، وهو ما يعبر عنه اللسانيون بالوظيفة الإيحائية للكلام ، وقد أدرك رجال الإشهار أهمية هذا الأمر فنجحوا في استغلال هذا الشكل الناجح من أشكال التواصل "[1]

فكل مخاطب يسعى إلى تحقيق غاية معينة وهي إقناع المتلقي وتغيير معتقداته وأفكاره وآرائه تجاه قضية معينة ، وهو ما يسميه طه عبد الرحمن بالإقناعية والتي عدها شرطا من شروط التداول وقد عبر عنها اللسانيون بالوظيفة الإيحائية للكلام ، فكل مرسل يسعى إلى تحقيق القصد المعلن مثل : رجال السياسة والإعلام وغيرهم .

[1] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة ، بنيته وأساليبه، ص26.

2. التناغم:

" ويعتبر من أهم الخصائص التي تميز الخطاب الحجاجي عن غيره من الخطابات الأخرى ويقصد به " انتظام المنطق الحجاجي حيث يقوم النص على منطق معين في كل المراحل التي يمر بها ، ويوظف على نحو دقيق من التسلسل والإحكام "[1]

وهذا يعني أن المنطق الحجاجي مبني على أسس متسلسلة ومنتظمة وأفكار مترابطة ، فالنص الحجاجي هو خطاب مترابط متناغم يقوم على الاستدلال والمنطق .

3. الاستدلال:

يرتبط الاستدلال بالحجاج من حيث أنه " يمثل سياقه العقلي أي تطوره المنطقي ذلك أن النص الحجاجي نص قائم على البرهنة فيكون بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي وتهدف جميعها إلى غاية مشتركة ، ومفتاح هذا النظام اللساني بالأساس ، فإذا أعدنا النص الحجاجي إلى أبسط صورة وجدناه ترتيبا عقليا للعناصر اللغوية ترتيبا يستجيب لنية الإقناع "[2]

فالخطاب الحجاجي يعتمد ربطا منطقيا ودلاليا بين أجزائه المكونة له ، ويعتمد على خطاب العقل والعاطفة ، فالاستدلال يرتبط بالبرهنة من جهة وبالإقناع من جهة أخرى .

[1] باتريك شارودو ، الحجاج بين النظرية والأسلوب ، تر أحمد الوردني ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ،لبنان ، ط1 ، 2009 ،ص36 .

[2] سامية الدريري ، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، ص 27 .

4. البرهنة:

" وهي مكمن الحجج والأدلة وتعتبر أسلوبا من أساليب المنطق الحجاجي وإليها ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولا إلى ألطف فكرة وأنفذها " [1]

بمعنى أن علاقة الحجاج بالبرهنة مرتبطة بطبيعة الأمثلة والحجج المقدمة، وهي الطريقة التي توظف فيها الحجج لإقناع المتلقي، وبواسطتها يسعى المخاطب إلى إيصال معارفه بأقل جهد وفي أقصر وقت، كما يمكن عد البرهنة مرتبة أولى بسيطة من الحجاج.

ونستخلص مما سبق أن هذا التقسيم المتداول للنصوص يقودنا إلى أهم خصائص النص الحجاجي ، فالنص الحجاجي أو الخطاب الحجاجي هو خطاب إقناعي، موجه للتأثير في سلوك المتلقي ، كما يعتمد منظومة لغوية خاصة به وربطا منطقيا ودلاليا بين أجزائه المكونة له ، ويعتمد خطاب العقل والعاطفة معا .

5. علاقة الحجاج بالتداولية:

ظهرت فكرة الحجاج ضمن نظرية أفعال الكلام، التي قام بتأسيسها "جون أوستين"، إذ تعد هذه الأخيرة جزء من اللسانيات التداولية، فنظرية الحجاج انطلقت من

[1] المرجع نفسه ص 27.

اللغة وبالتحديد من نظرية الأفعال اللغوية "لأوستن وسيرل"، وقد تطورت بعد ذلك عند "ديكرو" منطلقا من مقولته الشهيرة: "أننا نتكلم بقصد التأثير"

1) الحجاج عند أوستين :

تبلورت فكرة الحجاج عند "أوستن" من خلال مؤلفه " كيف نضع الأشياء بالكلمات" وقد طبع بعد وفاته عام 1962، حيث يبين أوستين أن الكثير من افعال الكلام لها وظيفة حجاجية، وقد ربط في هذا الكتاب اللغة بالاستعمال، كما ربط أوستن الكلام بالفعل من خلال تقسيمه الجمل إلى وصفية (خبرية) وجمل انشائية بقوله: " الجمل الخبرية هي التي يمكن الحكم عليها بالصدق والكذب، والجمل الإنشائية هي التي يتم الحكم عليها بمعيار التوفيق أو الإخفاق" [1]

وقد تبين لأوستين أن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجازا لغويا واحدا على الأقل.

" فالجمل الوصفية هي جمل خبرية تصف حدثا ما ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، أما الجملة الإنشائية والتي لا يمكن الحكم عليها بالصدق او الكذب، أما الجمل الانشائية التي لا يمكن الحكم عليها بالصدق او الكذب فهي تتفرد بمجموعة من السمات منها انها تستند الى ضمير المتكلم في زمن الحال وتتضمن فعلا من قبيل أمر أو وعد يراد منها انجاز فعل ما" [2]

[1] آن روجول وجاك موشلير، التداولية اليوم، تر، سيف الدين دغنوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003، ص31.
[2] بوزناشة نور الدين، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، مجله علوم انسانية، العدد 44، ص 16.

فالجمل الخبرية هي الجمل التي تخبرك أو تصف الواقع الخارجي ويحكم عليها بالصدق أو الكذب، والجمل الانشائية ليس لها خاصية الحكم عليها بالصدق أو الكذب فهي تستخدم لإنجاز فعل ما، ويحكم عليها بالنجاح والتوفيق إذا راعى فيها المتكلم شروط أدائها وكان أهلا لفعلها، أو العكس يحكم عليها بالإخفاق وعدم التوفيق اذا لم يراعي فيها المتكلم شروط ادائها ولم يكن أهلا لفعلها.

ونستنتج من خلال هذا التقسيم أن أوستين أخرج الجملة من دائرة البنية لدي سوسير وربطها بالاستعمال ووضعها في إطار التواصل الاجتماعي.

لكن أوستين لاحظ أن تصنيفه يفتقر إلى مقياس معياري نحوي لتمييز العبارات الإنجازية، فقسم الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أصناف وهي: [1]

1. **الفعل القولي (فعل الكلام):**

يقابل التلفظ بالأصوات (فعل صوتي) والتلفظ بالتراكيب (فعل تركبي)، واستعمال التراكيب حسب دلالتها (فعل دلالي).

2. **الفعل الإنجازي (الفعل المتضمن في القول):**

يحصل بالتعبير عن قصد المتكلم من أدائه: (يَعِدُ، يُخبِر، يُعجِب، يُنذِر،...) ويشمل الجانب التطبيقي والجانب التبليغي.

3. **الفعل التأثيري (فعل الناتج عن القول استلزامي):**

يُغيِّر الفعل الإنجازي من حال المتلقي بالتأثير عليه.

[1] ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية – مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 96– 97.

ونلاحظ من خلال هذا التقسيم أن الكلام يتضمن أفعال حجاجية، وأن الفعل الأخير يدل على النتيجة والأثر الذي يتركه الفعلان الأولان على المتلقي، ويتميز كل فعل من هذه الأفعال بتوفره على القوة الإنجازية.

واستنادا إلى ما تقدم قسم أوستن الأفعال الكلامية إلى مجموعات وظيفية وهي خمسة أقسام:[1]

1.3. **الأفعال الدالة على الحكم:** و هي الأفعال التي تبث في بعض القضايا، وتشمل على سبيل المثال: (أفعال التبرئة والحكم).

2.3. **أفعال الممارسة:** وهي الأفعال التي تجلي ممارسة الحق، ولها قوة في فرض واقع جديد مثل: (الإنجاب، التعيين و الاستشارة ...).

3.3. **أفعال الوعد:** وهي التي تؤسس لدى المتكلم إلزامية القيام بعمل ما معترف به من قبل المخاطب، مثل: (القسم، الرهان و التعهد).

4.3. **أفعال السلوك:** وهي مجموعة متباينة مرتبطة بالسلوك الاجتماعي للمتكلم، والتي تحمله على اتخاذ موقف إزَّاء المخاطب، مثل: (الاعتذار، التهنئة).

5.3. **أفعال العرض:** وهي علاقة المتكلم مع ما يقوله عن طريق المحادثة أو المحاجَّة، مثل: (الإثبات، التأكيد، النفي).

وتؤدي هذه الأفعال اللغوية دورا حجاجيا من خلال ارتباطها بالإثبات والإنجاز والتأثير.

[1] عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص 159.

ونستنتج مما سبق عرضه أن أوستين أخرج اللغة من مجال البنية إلى الاستعمال ووضعها ضمن البعد التواصلي الاجتماعي؛ أي التداولي، وبين أن الكثير من أفعال الكلام تؤدي وظيفة حجاجية من خلال تصنيفها إلى مجموعات وظيفية لها خاصية تأثيرية وتؤدي دورا حجاجيا.

2) الحجاج عند سيرل:

ارتبط الحجاج عند سيرل بالقصدية أو "المواضعات" وقد عرفها بقوله: " هي تلك السمة العقلية التي يمثل بها العقل داخل المواضعات والحالات في العالم" [1]

بمعنى أن قصدية المتكلم هي ما يريد المتكلم أن يفهمه لمخاطبة وهو العمل المتضمن في القول، ويتوجه المتكلم إلى المتلقي قصد إقناعه والتأثير فيه فيؤدي بذلك وظيفة حجاجية تداولية.

ومما أضافه سيرل أنه "قام بتعديل التقسيم الذي قدمه أوستن للأفعال الكلامية، فجعله أربعة أقسام، أبقى منها على القسمين الإنجازي والتأثيري، لكنه جعل القسم الأول وهو الفعل القولي قسمين:

الفعل النطقي: ويشتمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية.

الفعل القضوي: وهو يشتمل المتحدث عنه أو المرجع والمتحدث به أو الخبر.

الفعل الإنجازي: هو الفعل القصدي لمنطوق ما نحو: (يخبر، يعجب، يأمر).

[1] جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع والفلسفة في العالم الواقعي، تر؛ سعيد الغامدي، منشورات الاختلاف، ط1، 2006، ص 157.

الفعل التأثيري: يحصل حين يغير الفعل الإنجازي من حال المتلقي بالتأثير عليه[1].

ويتميز كل فعل من هذه الأفعال بتوفره على قوة إنجازية قصدية تساهم في إقناع المتلقي وبالتالي تؤدي وظيفة حجاجية.

وقد أعاد سيرل اقتراح خمسة أصناف للأفعال الكلامية: [2]

أفعال الإثبات: غايتها الكلامية تكمن في جعل المتكلم مسؤولا عن وجود وضع للأشياء ويشمل (التأكيد، الوصف).

أفعال التوجيه: وغايتها حمل شخص على القيام بفعل معين وتشمل (الأمر، النهي).

أفعال الوعد: وغايتها إلزام المتكلم بالقيام بشيء معين مثل: (القسم، الرهان، التعهد).

الأفعال التعبيرية: وتتمثل في التعبير عن حالة نفسية مثل: (الاعتذار، السرور).

الإعلانات: غايتها إحداث تغيير عن طريق الاعلانات وتشمل الأفعال الدالة على ذلك مثل: (الإعلان، الإعلام، الإخبار)

[1] ينظر؛ علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الأدب علي حسن، القاهرة- مصر، ط1، 2010م، ص 54-55.

[2] ينظر: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 160- 161.

وانطلاقا من تحديد معاني هذه الأفعال وتقسيماتها يرى سيرل: " أن التلفظ يظهر في عدة أشكال انطلاقا من مبدأ القصدية لذلك أضاف الأفعال الحجاجية إلى دائرة أفعال الكلام لتشمل الحجاج وقد صنفها حسب أدوارها الحجاجية في الكلام إلى :

أفعال تمريرية: تمثل أصغر وحدة مكتملة في الاتصال اللغوي، إذ يشترط في الأفعال تمريرية توفرها على القصدية، فإذا نطقنا مثلا فإننا نقصد ذلك الوعد، وبالتالي تكون القصيدة مصدر قوة الفعل التمريري و حجاجيه .

أفعال تأثيرية: هي النتيجة المترتبة عن هذا الفعل التمريري، ومنه نقول أن الفعل التأثيري يرتبط بالحجاج من خلال الانجاز" [1]

ونستنتج مما سبق أن سيرل ربط الحجاج بالقصدية من خلال الأفعال الكلامية التي لها وظيفة حجاجية كالافعال التمريرية والأفعال التأثيرية.

3) الحجاج عند ديكرو :

انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال الكلامية التي وضع أسسها كل من "**أوستن**" و"**سيرل**"، وقد قام ديكرو بتطوير أفكار وراء أوستن وسيرل؛ إذ يُعَد **ديكرو** من مؤسسي نظرية الحجاج في اللغة، حيث انطلق في ذلك من فكرة " أننا نتكلم عامة بقصد التأثير" [2]

[1] ينظر؛جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعد الغامدي، ص 201

[2] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 16.

وقد اقترح ديكرو " فعلين لغويين إضافة إلى تقسيم أوستن وسيرل هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج؛ لأن نظرية أوستن واجهتها صعوبات من ضمنها عدم كفاية التصنيفات المقترحة للأفعال اللغوية"[1]

وعرَّف ديكرو الإنجاز بأنه: " فعل لغوي موجه إلى إحداث تحولات ذات طبيعة قانونية؛ أي مجموعة الحقوق والواجبات، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمط معين من النتائج باعتباره الإتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير عليه الحوار" [2]

بمعنى أن للفعل الانجازي تأثيرات ذات طبيعة قانونية تؤدي بطرفا الحوار الى استعمال الفعل الحجاجي، و منه فإن الحجاج كفعالية تداولية له بعد انجازي تأثيري.

كما بين ديكرو أن الكثير من أفعال الكلام لها وظيفة حجاجية وقد وضح ذلك انطلاقا من نظرية أفعال الكلام لأوستين .

وذلك في قوله: " لقد انطلقنا من ملاحظة عامة أنه كثير من الأفعال الكلامية لها وظيفة حجاجية توجه المتلقي إلى نتيجة محددة أو تصرفه عنها" [3]

ومنه يتبين أن هذه الافعال تقوم بتوجيه المتلقي لقبول رأي ما أو رفضه؛ أي تعمل على التأثير في المتلقي وإقناعه.

---

[1] ينظر، المرجع السابق، ص 16.

[2] المرجع السابق، ص 16.

[3] حمداني نسيمة، البنية الحجاجية في ديوان –لا تعتذر عما فعلت– لمحمود درويش –تناول تداولي– جامعة ،آكلي محند أولحاج، كلية الآداب واللغات، البويرة، 2014– 2015 ، نقلا عن: Oswald Ducrot, les utilise échelles argumentatives, Editions de minult, paris,1980,p 15

ومنه نستنتج أن الحجاج عند ديكرو حاضر في كل الخطابات وأن اللغة تحمل في ذاتها وظيفة حجاجية، وذلك من خلال الأفعال اللغوية عامة، و الأفعال الإنجازية خاصة التي تؤدي وظيفة حجاجية.

ويتبين مما سبق عرضه أن للحجاج علاقة مباشرة بالتداولية، وقد اتضح ذلك من خلال العديد من الدراسات، ولعل أهمها نظرية أفعال الكلام "لأوستن" و"سيرل" التي عرفت اهتماما كبيرا بالأفعال اللغوية عامة، و الفعل الحجاجي خاصة و نظرية الحجاج في اللغة لديكرو الذي أقر بأن اللغة تؤدي وظيفة حجاجية.

المبحث الثاني: الآليات الحجاجية

يعتمد الخطاب الحجاجي " على تقنيات ووسائل خاصة، والتي يقوم المتكلم المحاجج بتوظيفها في سياقات مختلفة، وذلك لكي يهيئ المتلقي لقبول أفكاره ومقاصده، واستمالته والتأثير فيه وتعتبر هذه الوسائل والأدوات عمدة الحجاج؛ إذ تمثل اللبنة الأساسية لتحقيق الاقناع والتأثير، ويمكن تصنيفها اعتبارا بما ترتبط به" [1]، فمنها: الآليات اللغوية و الآليات البلاغية و الآليات المنطقية أو شبه المنطقية.

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 476- 477.

I. آليات الحجاج اللغوية :

تعد اللغة من أهم آليات الحجاج، وذلك لما تحمله من وسائل اقناعية والتي من خلالها نتوصل إلى إقناع المخاطب و استمالته، إذ تحوي مجموعة من الوسائل والأدوات اللغوية التي تؤدي وظيفة إقناعية و سنتطرق إلى أهم هذه الآليات و منها :

1. ألفاظ التعليل :

تعد أألفاظ التعليل " من الأدوات اللغوية التي يستعملها المخاطب في كلامه لتقديم الحجج التي يمكنه من خلالها اقناع المتلقي، وتدل هذه الألفاظ على السببية" [1] ومن بين هذه الألفاظ نجد :

أ- **المفعول لأجله:** فالمفعول لأجله، أوله، أو من أجله، "من المكملات في الجملة الفعلية، وهو عنده النحاة الاسم المنصوب، الذي يذكر بيانًا لسبب وقوع الفعل، فالاسم يراد منه المصدر، سواء أكان صريحا أومؤولا" [2]

بمعنى أنه من ألفاظ التعليل لأنه يدل على السبب الذي يؤدي إلى البرهنة على الحدث، أي هو المصدر الذي يدل على سبب ما قبله و بيان علته، ومنه نستنتج أن المفعول لأجله يؤدي دورا اقناعيا حجاجيا.

[1] المرجع نفسه، ص 478.

[2] عبد الحميد السيد، محمد عبد الحميد، التنوير في تيسير التيسير في النحو، مكتبة الازهر للتراث، القاهرة، دط، دت، ص 76.

ب- **لأن:** و تحمل معنى السببية، و تعد "لأن" من أهم ألفاظ التعليل، فقد يبدأ المرسل خطابه الحجاجي بها في أثناء تركيبه و تستعمل لتبرير الفعل، كما تستعمل لتبرير عدمه[1]

و هذا يعني أن المخاطب يوظف "لأن" في الخطاب الحجاجي لتعليل و تبرير موقفه، سواء كان بالإثبات أو النفي، و إقناع المرسل إليه بوجهة نظره، و هذا يثبت الدور الحجاجي للفظ "لأن".

ج- **لفظة السبب:** و توظف لفظة السبب أيضا للدلالة على التبرير و التعليل، و ترد كلمة السبب تلفظ أي "بذكر كلمة السبب تلفظا أو يلفظ مرادف يدل على السبب و أحيانا أخرى ترد بالمعنى حيث يستعملها المخاطب في تعليل موقفه و الاحتجاج له، و بالتالي إقناع المتلقي بما يقول"[2]، و هي بذلك تؤدي وظيفة حجاجية إقناعية.

2. الأفعال اللغوية:

يعد الفعل اللغوي محور اهتمام الدراسات اللسانية المعاصرة، فعندما نتواصل بلغة ما أو نتحدث بها يعني أننا نحقق أفعالا لغوية.

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص479

[2] ينظر: حافظ اسماعيل علوي، الحجاج مفهومه و مجالاته –دراسة نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة– عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، د ط، ج1، 2010، ص82.

و يرى "فانا ايميرن وجونتروست" {أن الأفعال اللغوية تسهم بأدوار مختلفة بالحجاج إذ يضطلع كل منها بدور محدد في الحجاج بين طرفي الخطاب، و ترتب الأفعال حسب مقدار الاستعمال}[1]

بمعنى أن الأفعال اللغوية يستعملها المخاطب " لإثبات وجهة نظره و تحقيق الوظيفة التواصلية، فالأفعال اللغوية هي بمثابة حجج يستعملها المخاطب لتدعيم رأيه و إثبات موقفه، ليحقق بذلك وظيفة الإقناع و التأثير"[2] و الفعل اللغوي هو ما يسمى عند جون أوستين بالفعل الإنجازي و هو عنده "ما نقوم به خلال كلامنا"[3]، وهذا يعني ارتباط الفعل بالقول مباشرة، فالفعل يحدث لحظة صدور القول من المخاطب على شكل تقرير أو أمر.

فالفعل الإنجازي يكون " فعل أمر أو نهي أو نداء أو استفهام أو تعجب أو نفي...، إنه فعل ينجز حينما نقول شيئا ما " [4]

فهذه الأفعال تنجز عندما نتلفظ بشيء ما، و ينجز الفعل في لحظة التلفظ به أمرا و ليس اختيارا، و مثال ذلك: كما أمر الله سبحانه و تعالى بأداء الصلاة و إخراج الزكاة و صوم رمضان كواجبات شرعية يجب الالتزام بها.

و نستنتج مما سبق أن الهدف من الخطاب الحجاجي هو إقناع المرسل إليه بواسطة الأفعال اللغوية التي تؤدي وظيفة إقناعية حجاجية.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 478.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 481-482.

[3] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د م ط، د ط، 1986م، ص61.

[4] بلقاسم دفة، استراتيجية الخطاب الحجاجي، مجلة المخبر (أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري) جامعة بسكرة – الجزائر – العدد10، 2014 ص 494.

3. الوصف:

يشمل الوصف عددا من الأدوات اللغوية منها: الصفة و اسم الفاعل و اسم المفعول، و في ما يلي عرض لكل منهما مع بيان دوره في الحجاج

أ. **الصفة:** " تعد الصفة من الأدوات اللغوية التي تمثل حجة المرسل في خطابه، و ذلك بإطلاقه لنعت معين، إذ يقوم هذا النعت كحجة لإقناع المرسل إليه و التأثير فيه"[1].

و هي تعرف بأنها "تابع مشتق أو مؤول بمشتق يكمل متبوعه بمعنى جديد يناسب سياق الحديث و يفيد في: إيضاح متبوعه أو في تخصيصه أو المدح و الذم أو متمم لفائدة الخبر الأساسية" [2].

و يتبين من هذا التعريف بأن الصفة تمثل أداة لتحقيق الإقناع و التأثير و حسب شرح الشهري لهذا القول "و بهذا فإن الصفة، تمثل أداة الفعل الحجاجي و علامة عليه، فلا يقتصر المرسل على توظيف معناها المعجمي أو تأويله بل يبتغي التقويم و التصنيف و اقتراح النتائج التي يريد حصولها أو فرضها، و هذا ما يعطيها الطواعية و المرونة التي هي من صلب خصائص الخطاب الطبيعي في الممارسة الحجاجية، ليمارس المرسل أكثر من فعل واحد، بالتصنيف و بتوجيه انتباه المرسل إليه إلى ما يريد أن يقنعه به في حجاجه"[3].

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص486.
[2] ينظر: ابراهيم قلاني، قصة الإعراب، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، د ط، 2006 ص 97.
[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 487.

ومنه نستنتج أن الصفة تقوم بدور حجاجي و هي بمثابة الأداة التي يستعملها المرسل كحجة في خطابه لعرض وجهة نظره و موقفه لتحقيق الوظيفة الإقناعية و التأثير في المتلقي.

ت- **اسم الفاعل:** يعتبر اسم الفاعل من أدوات الوصف التي يدرجها المرسل في خطابه و عرفه عباس حسن بقوله "اسم مشتق، يدل على معنى مجرد حادث، و على فاعله ؛ أي ما دل على حدث و صاحبه أي أنه يشتمل على أمرين معا: المعنى المجرد الحادث و فاعله، فمثلا: كلمة (عالم) تدل على علم و الذات التي فعلته"[1].

و منه يتبين أن اسم الفاعل هو بمثابة الحجة التي يقدمها المرسل لإثبات وجهة نظره و تحقيق الإقناع المنشود، إذن نستنتج أن اسم الفاعل من نماذج الوصف التي تؤدي وظيفة حجاجية.

ث- **اسم المفعول:** و هو من الأوصاف التي تستعمل لغايات حجاجية و يعرفه عباس حسن بأنه "اسم مشتق يدل على معنى مجرد، غير دائم و على الذي وقع عليه هذا المعنى"[2]

وهذا يعني أنه يدل على المعنى المجرد و صاحبه الذي وقع عليه، فمثلا "كلمة محفوظ" و "مصروع" في قولهم:

[1] عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط4، د ت، 238/4.

[2] المرجع نفسه، 271/3.

العادل محفوظ برعاية ربه و الباغي "مصروع" بجناية بغيه، فاسم المفعول "محفوظ" يدل على الأمرين:

- المعنى المجرد و هو الحفظ.
- الذات التي وقع عليها الحفظ.

و دلالة اسم المفعول على الأمرين السابقين مقصورة على الحدوث، أي الحال[1]، و منه يتبين أن اسم المفعول يتجاوز وظيفة الإخبار و الإبلاغ إلى وظيفة الإقناع و التأثير، أي أنه يأتي لغاية حجاجية و هي إقناع المتلقي، و إثبات فكرة المرسل إليه أو تأكيدها، إذن نستنتج أن اسم المفعول من الأوصاف الحجاجية المستعملة في الخطاب الحجاجي.

4. التكرار:

يعد التكرار من أبرز أساليب الحجاج اللغوية، لدوره في زيادة حضور الفكرة في ذهن المتلقي و تقريبها "و يسمى أيضا بالترديد و الترداد، له وظائف خطابية عدة، عبر عنها بالإفهام و الإفصاح و الكشف، و تأكيد الكلام، و التشديد من أمره، و تقرير المعنى و إثباته"[2] بمعنى أن التكرار يعتمد على عدة وظائف خطابية، تحدث أثرا في المتلقي و إقناعه، و تساعده على التبليغ و الإفهام، و تعين المتكلم على ترسيخ الفكرة في ذهن السامع، و تساعده على الاقناع والتأثير.

[1] المرجع السابق ص 271.

[2] محمد العبد، النص و الخطاب و الاتصال، ص 230.

و يعرفه **ابن الأثير (ت 673)** بأنه "دلالة اللفظ على المعنى مرددا"[1] كما يعرفه الرضي الإستراباذي بقوله "أنه ضم الشيء إلى مثله في اللفظ، مع كونه أياه في المعنى"[2] و من خلال التعريفين يتبين أن التكرار يعني إعادة اللفظ أو المعنى في الكلام لإثبات فكرة المرسل أو تأكيدها و ترسيخها في ذهن المتلقي.

و يرى **ابن الأثير** كذلك " أن التكرار يكون في اللفظ و المعنى، و في المعنى دون اللفظ، و أن كل نوع من هذين النوعين ينقسم إلى مفيد و غير مفيد"[3]

و نحن في هذا المقام نهتم بالتكرار المفيد لأنه هو الذي يساهم في التأكيد على المعنى و إقناع المتلقي، أي له وظيفة حجاجية إقناعية و نستنتج مما سبق أن " للتكرار دور حجاجي، وهو تأكيد و ترسيخ فكرة المخاطب في ذهن المتلقي، و تحقيق الأثر التداولي من خلال إقناع المخاطب و التأثير فيه"[4].

II. آليات الحجاج البلاغية:

تحتل البلاغة مكانة مهمة في الحجاج، فهي تهدف إلى استمالة المتلقي و إقناعه عن طريق أساليب جمالية منها: التشبيه و الاستعارة و الكناية و البديع و غيرهم، و فيما يلي سنتطرق إلى أهمها:

---

[1] ابن الأثير ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، و بدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، 1983، 08/1.

[2] الرضي الإستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب، تح: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، 15/1.

[3] ينظر ابن الأثير ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ص 8-28.

[4] ينظر: عباس حشاني ، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في انتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2014، ص62.

أ-الاستعارة:

تعد الاستعارة من المجاز اللغوي، و هي من أهم آليات الحجاج البلاغية حيث تساهم بشكل كبير في تقريب المعنى إلى ذهن القارئ، و يعرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: "فقد حصل من هذا الباب أن الاسم المستعار كلما كان قدمه أثبت في مكانه، كان موضعه في الكلام أضمن به و أشد محاماة عليه و أمنع لك من أن تتركه و ترجع إلى الظاهر بالتشبيه، فأمر التخييل فيه أقوى و دعوى المتكلم له أظهر و ألم"[1]

و منه فالاستعارة عند الجرجاني هي عملية عقلية نفسية تقوم على علاقة المشابهة بين طرفين حيث يدل أحدهما على وجود الآخر

و تقوم حجاجيتها على الادعاء و إقناع المتلقي و التأثير عليه في سياق معين. "و يمكن للاستعارة أن تتحول إلى حجة عندما تعمل على الإقناع إذ تتعدى الزخرفة فتصبح أداة إقناعية حقيقية، تحولا ملفوظا مجردا إلى سجل مجازي مقبول لدى القارئ"[2]

و التجسيد المعنوي يزيد الاستعارة بلاغة و حجة، إذ تقريب المحسوس من اللامحسوس يسهل عملية الإدراك و الفهم و تعرف الاستعارة الحجاجية بأنها "الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي"[3]

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط2، 1999، ص14.

[2] يمينة ثابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الزندي، الخطاب دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات و البحوث العلمية في اللغة و الأدب منشورات مخبر تحليل الخطاب – جامعة مولود معمري- تيزي وزو – العدد2، 2007م ص 303.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 495.

فالاستعارة الحجاجية " تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم لإقناع المتلقي و توجيهه، كما يعتبرها بمثابة الحجة التي يقوم بتقديمها لإحداث تغيير في سلوك المتلقي و التأثير فيه و تغيير معتقداته و أفكاره" [1]، ومن هنا تتحقق الوظيفة الاقناعية الحجاجية التي يصبوا إليها.

"و لهذا يشترط أن تكون الاستعارة مفيدة، و تكمن إفادتها في المتكلم المحاجج و مدى معرفته لمواطن الإثارة في الكلام على نفسية المتلقي"[2]

فالاستعارة المفيدة هي التي تقوم بدور حجاجي، لأنها ترتبط بمقصد المتكلم في الخطاب الحجاجي أثناء عملية التواصل، و بالمقابل للاستعارة الحجاجية المفيدة نجد الاستعارة الجمالية "فالتركيب الاستعاري الجميل الذي لا يقصد به الإقناع، إنما يقصد به الإمتاع، لا يوفر الحجاج بطريقة مباشرة، و لكنه يؤثر فيه و يدعمه، إنه رافد مهم و أساسي"[3].

إذن فالاستعارة المفيدة هي التي تقوم بدور حجاجي إقناعي لاستمالة المتلقي و التأثير فيه أما الاستعارة الجمالية فتعد رافدا للحجاج إذ يستغلها المخاطب في تدعيم حججه لتحقيق الوظيفة الحجاجية

[1] عباس حشاني ، خطاب الحجاج والتداولية، ص 284.
[2] المرجع نفسه، ص 62.
[3] المرجع نفسه ص 284.

و نستنتج مما سبق عرضه أن " الاستعارة الحجاجية تكمن في العلاقة التي تقيمها بين المستعار منه و المستعار له"[1]، و هي من الوسائل البلاغية التي يستعملها المخاطب لتحقيق الإقناع و الوظيفة الحجاجية.

ب- التمثيل (التشبيه)

يعتبر التمثيل أداة برهنة فهو ذو قيمة حجاجية، و يعرف بأنه "أسلوب في تصوير المعنى يقوم على مقارنة شيء بآخر"[2]

بمعنى لابد من وجود طرفين مشبه و مشبه به، " إذ يكون طرفه الثاني حجة على طرفه الأول وهذا يعتبر بمثابة حجة على صحة المقدمة "[3] التي ننطلق منها أي إثبات لصحتها.

فالتشبيه إذن "هو وجه من وجوه الاستعمال المجازي للغة، و هو يقع في المرتبة الثانية بعد الاستعارة من ناحية درجة الوضوح و الغموض، من جهة، ومن ناحية الإقناع من جهة أخرى"[4]

حيث يلعب المشبه و المشبه به دوري المقيس و المقيس عليه في التركيب المجازي، "إذ يتم الربط بينهما بعلاقة القياس أو المقارنة، و يجب أن يشترك المشبه و المشبه به، في

[1] المرجع نفسه ص 288 .

[2] محمد مصطفى هدارة، في البلاغة العربية و علم البيان، دار العلوم العربية، بيروت – لبنان، ط1، 1989، ص33.

[3] ينظر: عباس حشاني ، خطاب الحجاج والتداولية، ص 291.

[4] مكي شامة، الحجاج في شعر النقائض، دراسة نصين لجرير و الفرزدق دار ميم للنشر، د ط، 2010، ص144.

صفة واحدة على الأقل و التي تلعب دور الحجة التي من خلالها يستطيع المرسل أليه تحقيق الدور الإقناعي و الوظيفة الحجاجية"[1]

و منه نستنتج أن التشبيه بكل أنواعه يؤدي دورا في الحجاج و ذلك من خلال " التأثير على المتلقي بتغيير سلوكه و توجيه فكره، وتكمن حجاجية التشبيه في الإيجاز و دور المخاطب الذي يعقد المماثلة بين شيئين حسب قصده مدعما بحجة "[2] حيث يهدف من خلالها إلى إقناع المتلقي.

ج- الكناية:

تعد الكناية من أنواع المجاز الحجاجية، و هي "في اللغة: مصدر كنيت كذا عن كذا إذا تركت التصريح به، و الكناية في اصطلاح أهل البلاغة: لفظ أطلق و أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى"[3]

فهي العلاقة بين المعنى الذي يقصده المتكلم، و المتلقي الذي يوجه إليه المعنى، فالكناية ليست مجرد استخدام ألفاظ في الكلام بطريقة مجازية بل هي أداة و وسيلة من وسائل الحجاج.

"و يرتبط الحجاج بالكناية في ثلاث عناصر و هي:

المتكلم المحاجج و يمثل الرمز لمعنى و غاية حجاجية.

[1] ينظر: المرجع نفسه ص 145.
[2] ينظر: عباس حشاني ، خطاب الحجاج والتداولية، ص 293.
[3] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية و علم المعاني، البيان، البديع دار النهضة العربية بيروت، د ط، د ت، ص397.

و المتلقي المحاجج وهو الموجه إليه المجاز و الخطاب المجازي الحجاجي و هو المحقق للغاية و القصد"[1]

و نستنتج مما سبق أن الكناية من أنواع المجاز الحجاجية، حيث يوظفها المرسل إليه كحجة قوية لإقناع المرسل و التأثير فيه وتحقيق الغاية المنشودة و هي تحقيق الوظيفة الإقناعية الحجاجية.

هـ- البديع:

يعد من المجاز اللغوي إذ يساهم بدوره الكبير في الحجاج و هو "النظر في تزيين الكلام و تحسينه بنوع من التنميق، إما بسجع يفصله، أو تجنيس يشابه بين الألفاظ، أو ترصيع أوزانه، أو تورية عن المعنى المقصود، بإبهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما، أو طباق بالتقابل بين الأضداد، و أمثال ذلك"[2] بالإضافة إلى أن البديع يزين الكلام مما يكسبه روعة و جمالا نجده كذلك يؤثر في نفسية المتلقي من خلال نغماته الموسيقية المتوازنة و الجميلة، و هذا التأثير يؤدي حتما إلى الإقناع.

و منه فإن للبديع "دورا حجاجيا على سبيل زخرفة الخطاب، و لكن بهدف الإقناع و البلوغ بالأثر مبلغه الأبعد حتى لو تخيل الناس غير ذلك، و البلاغة العربية مليئة بالشواهد التي تثبت أن الحجاج من وظائفها الرئيسية"[3] و منه فحجاجية البديع تكمن في أمرين:

[1] ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، ص 288.

[2] محمود أحمد حسن المراغي، في البلاغة العربية و علم البديع، دار العلوم العربية، بيروت – لبنان، ط1، 1991، ص 9-10.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 498.

1- "قدرة الألفاظ البديعية و المعاني الجميلة على التأثير في نفسية المتلقي، و بذلك تقوده إلى الإقناع و التأثر.

2- و أن القيمة الجمالية للبديع تخص اللفظ و تخص المعنى معا فيتحقق الإقناع بالمعنى و اللفظ الذي يزيده جمالا، فتزيد قدرته التأثيرية على المتلقي"[1]

ومنه نستنتج أن البديع من المجاز اللغوي الذي يساهم بدور كبير في الإقناع، " فالبديع اللفظي و المعنوي وسيلة للتأثير و الاستمالة من خلال الزخرفة اللفظية و الجمالية التي يتميز بها و بذلك يحقق إقناع المتلقي و إذعانه " [2]، فتتحقق بذلك الوظيفة الإقناعية الحجاجية.

III. آليات الحجاج شبه المنطقية:

تتجلى هذه الآليات في العلاقة المجازية بين الدعوى و الحجة فتصبح العلاقة شبه منطقية "و يجسدها السلم الحجاجي بأدواته و آلياته اللغوية، و يندرج ضمنه كثير منها، مثل الروابط الحجاجية، لكن، حتى، فضلا، عن، ليس، كذا، فحسب، أدوات التوكيد و درجات التوكيد و الإحصاءات، و بعض الأليات التي منها الصيغ الصرفية مثل التعدية بأفعال التفضيل و القياس و صيغ المبالغة"[3] و هذا يعني أنها تتجسد من خلال الأدوات و الآليات اللغوية، التي تندرج ضمن السلم الحجاجي.

[1] عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، ص 296.
[2] المرجع نفسه، ص 296.
[3] المرجع السابق، ص 89.

- **السلم الحجاجي:**

و يمكن تعريف السلم الحجاجي بأنه "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية و موفية بالشرطين التاليين:

- ✓ كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.
- ✓ كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه"[1]

بمعنى أنه عبارة عن مجموعة من الحجج مرتبة حسب قوتها الحجاجية يقوم المخاطب باختيارها لدعم دعواه.

و قد ورد في كتاب "السلالم الحجاجية " لديكرو أن "السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي :

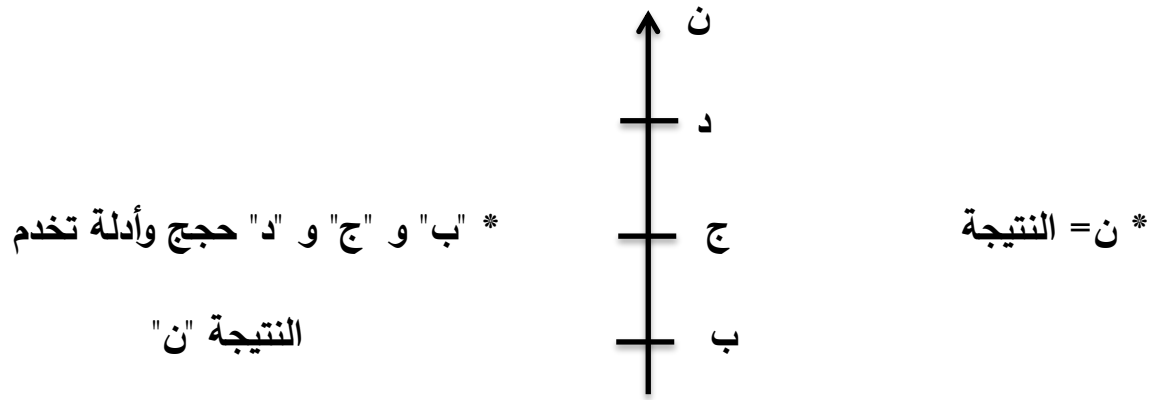

[1] طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان أو الكوثر العقلي، ص 277.

و يتسم السلم الحجاجي بالسمتين التاليتين:

- كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة لـ "ن"
- إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" فهذا يلزم أن "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، و العكس غير صحيح"[1]

و يصدق هذا في الإثبات مثل: "ناصر من أكفأ الضباط، فقد نال ميدالية التقدير من الدرجة الأولى "ب"، ونال وسام الملك فيصل من الدرجة الثانية "ج" و نال مؤخرا، و سام الملك عبد العزيز من الدرجة الثالثة "د"

فنيله ميدالية التقدير هي حجة أولى على كفاءته، و الوسام الثاني هي حجة أقوى من الحجة الأولى، أما الوسام الثالث فهو أقوى الحجج أو الأدلة على كفاءته و كل هذه الحجج تؤدي إلى النتيجة "ن" و هي الكفاءة العسكرية"[2] ، فهذا الترميز يبين لنا أنه بقدر ما تكون الحجة أقرب إلى أعلى السلم تكون أقوى الحجج و أكثر تأثيرا في المتلقي و العكس صحيح أي أنه كلما كانت الحجة أقرب إلى قاعدة السلم كانت أقل تأثيرا و إقناعا للمتلقي.

1/ أدوات السلم الحجاجي اللغوية:

يتحقق الحجاج بالسلم الحجاجي باستعمال الأدوات اللغوية، كالروابط الحجاجية و درجات التوكيد.

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص20.

[2] حافظ اسماعيل علوي، الحجاج مفهومه و مجالاته، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، د ط، 2010، 95/1.

أ. الروابط الحجاجية:

تندرج الروابط الحجاجية ضمن الأدوات اللغوية التي يكون دورها هو الربط الحجاجي بين قضيتين لغويا ودلاليا، و تعرف الروابط الحجاجية على أنها: " مورفيمات تربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر في إطار استراتيجية حجاجية واحدة "[1] ، بمعنى أن الرابط هو الذي يربط بين فعلين لغويين أو أكثر، في إطار استراتيجية حجاجية واحدة، و " ذلك في إطار الصيغة الجديدة للنظرية الحجاجية وهي التداولية "[2].

"ومن هذه الروابط: لكن، بل، فضلا، عن، ليس، كذا، حتى...

و هذه الروابط هي ما يسميها المناطقة اللفظ"[3] ، و هو لفظ لا يدل على أي معنى و إنما وظيفته هي الربط بين الألفاظ ليبين العلاقات القائمة فيما بينها.

" فإذا أخذنا المثال التالي: زيد مجتهد، إذن سينجح في الامتحان، فسنجد أنه يشتمل على حجة و هي:

(زيد مجتهد) و نتيجة مستنتجة منها (سينجح)، و هناك الرابط (إذن) الذي يربط بينهما

و قد ميز أبو بكر العزاوي بين أنماط عديدة من الروابط منها:

1. الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن،...)
2. الروابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، و بالتالي،...)"[1]

[1] عمران قدور، البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2012، ص37.
[2] أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص29.
[3] حافظ اسماعيل علوي، الحجاج مفهومه و مجالاته– دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ص 95.

و نستنتج مما سبق ذكره أن " الروابط الحجاجية هي المؤشر الأساسي و الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة ذاتها "[2] ، فهي وسيلة أساسية و مهمة في تحقيق الإقناع و الوظيفة الحجاجية.

ب- درجات التوكيد:

يستعمل التوكيد بترتيب درجاته عند إنتاج الخطاب الخبري في ثلاث درجات من التوكيد، طبقا لثلاث سياقات كما يصنفها السكاكي:

1. "**الخبر الابتدائي:** و هو ما يلقى للمخاطب الخالي الذهن، و يكون خاليا من التوكيد.

2. **الخبر الطلبي:** و هو ما يلقى للمخاطب المتردد في الحكم، و يكون مصحوبا بمؤكد واحد استحسانا.

3. **الخبر الإنكاري:**

و هو ما يلقى للمخاطب المنكر لمضمون الخبر، و يجب أن يكون الكلام حينئذ مصحوبا بمؤكد أو أكثر حسب قوة الإنكار أو ضعفه"[3] و تتجسد هذه الأصناف الثلاثة في السلم الحجاجي كما يلي: فالمخاطب في الخبر الابتدائي لا يستعمل أي نوع من

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص30.
[2] المرجع نفسه، ص 55.
[3] بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني – دراسة بلاغية و نقدية لمسائل المعاني –، مكتبة وهيبة، القاهرة، ط1، 1407هـ، 40/1.

أدوات التوكيد فيقع في قاعدة السلم الحجاجي، في حين أنه يستعمل في الخبر الطلبي مؤكدا واحدا، أما في الطلب الإنكاري فيستعمل مؤكدين.

و عليه فإن قراءة القدامى للخبر على هذا النحو تؤهلنا أن ندرسه ضمن سلمية اللغة فنتحصل على الشكل التالي:

الإنكاري: و الله لقد ضرب علي صالحا ضربا.

الطلبي: و الله ضرب علي صالحا.

الابتدائي: ضرب علي صالحا. [1]

و منه نستنتج أن التوكيد بأدواته و ترتيب درجاته يساهم بشكل كبير في تحقيق الإقناع و ذلك عند إنتاج الخطاب الخبري و دراسته ضمن سلمية اللغة، لأنه يمثل دعامة للحجج و بذلك يساهم في إقناع المتلقي.

2/ آليات السلم الحجاجي شبه المنطقية:

إن ترتيب الحجج في سلم واحد " لا يقتصر على بعض القضايا و المقولات و ربطها ربطا حجاجيا، أو على استثمار بعض الأدوات اللغوية، بل يمكن ترتيب الحجج أيضا باستعمال بعض الصيغ الصرفية و توجيهها في سياق الإقناع "[2]. ونجد من بين هذه الصيغ:

[1] ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس- تونس، ط1، 2011، ص (128،129)

[2] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص225.

أ- **التعدية:** هي ترتيب الأشياء في السلم الحجاجي، بوجود علاقة ترتيبية بينها، رغم عدم وجود هذه العلاقة قبل التلفظ بالخطاب، "و هي خاصية صورية لبعض العلاقات التي تسمح بالانتقال من الثبات بأن نفس العلاقة التي توجد بين طرفي "أ" و "ب" و بين "ب" و "ج" إلى الاستنتاج، أن هناك نفس العلاقة بين طرفي "أ" و "ج" "[1]

إذن فهي تعتمد على العلاقات الرياضية، و تقوم حجة التعدية على القياس و تتمثل في:

- **أفعل التفضيل:** و تستعمل أفعل التفضيل في الإثباتات:

و يعرفه عباس حسن في قوله "أنه اسم مشتق، على وزن: أفعل يدل – في الأغلب – على أن شيئين اشتركا في معنى، و زاد أحدهما على الآخر فيه، فالدعائم التي يقوم عليها التفضيل الاصطلاحي – في أغلب حالاته – ثلاثة:

1- صيغة أفعل، و هي اسم مشتق.

2- شيئان يشتركان في معنى خاص.

3- زيادة أحدهما على الآخر في هذا المعنى الخاص.

و لا فرق في المعنى و الزيادة بين أن يكون أمرا حميدا أو ذميما"[2]

و منه تدل أفعل التفضيل على زيادة أمر ما على آخر، "و قد سمى طه عبد الرحمان العلاقة التي بينهما بعلاقة التفاضل"[1] نحو: الشمس أكبر من الأرض حجما، فقد يكون

[1] محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية عربية و غربية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2005، ص 379.

[2] عباس حسن، النحو الوافي، 395/3.

الخطاب بصيغة المدح و قد يكون بصيغة الذم، و منه يتساوى الأمران في الاستعمال، "إذ يستعمله المرسل في حجاج غيره مستعملا صيغه الثلاثة:

1- المجرد من أل و الإضافة مثل: العدل أفضل من الظلم.

2- المقترن بأل مثل: منتجاتنا الأجود.

3- المضاف مثل: الباحثون أنفع الناس لخدمة الوطن"[2]

و منه نستنتج أن دور أفعل التفضيل الحجاجي أنه يتضمن صيغا تمكننا من إيجاد علاقة ترتيبية في السلم الحجاجي بين أطراف ليس بينها علاقة قبل التلفظ بالخطاب، فبدون استعمالها لا يمكن أن تكون هناك علاقة ترتيبية و لذلك يصنفه بيرلمان في حجاج التعدية.

ب- صيغ المبالغة:

تصنف صيغ المبالغة من الآليات اللغوية للحجاج، و هي من الآليات الصرفية ، و نجد سيبويه يتحدث في كتابه عن المبالغة إذ يقول: "أجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر مجراه إذا كان بناء على (فاعل)، لأنه يريد ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلا أنه يريد أن يحدث عن المبالغة، فما هو الأصل الذي عليه أكثر هذا المعنى، فَعُولٌ، مِفْعَالٌ، و

[1] طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص 282.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ص (526، 527)

فَعَّالٌ، و فَعِيلٌ، و جاء فِعِّيلٌ كرجيم، و عليم، و قدير، و سميع، و بصير، يجوز فيهن ما جاز في فَاعِل من التقديم و التأخير و الإظهار و الإضمار"[1]

ومن خلال هذا القول يتبين أن صيغ المبالغة هي خمسة صيغ (فَعَّالٌ، فَعُولٌ، مِفْعَالٌ، فَعِيلٌ، فِعِّيلٌ) و تدل هذه الصيغ على الكثرة و المبالغة " كما تتفاضل فيما بينها، و لإدراك المخاطب لهذا التفاضل يجب أن يتميز بفكر لغوي و مهارات تداولية، إذ يستعمل منها ما يعبر عن الحجة التي يريد إيصالها إلى المتلقي لإقناعه و التأثير فيه و كذلك لأنها تدل على الكثرة و المبالغة الصريحة في فعلها الثلاثي الأصلي "[2].

و نستنتج مما سبق أن صيغ المبالغة تكمن حجاجيتها في القوة و الكثرة التي تفيدها في الخطاب لأنها صيغ مشتقة تساعد على تأكيد الحجة و تسديدها لإقناع المتلقي و التأثير فيه.

ج- حجة الدليل:

تعتبر الحجج الجاهزة أو الشواهد من الدعامات القوية للحجاج "إذ يضعها المرسل في الموضع المناسب و هنا تتبدى أهليته و براعته في توظيفها حسب ما يتطلبه السياق، و يمكن تصنيفها في السلم الحجاجي بالنظر إلى طبيعتها المصدرية، فهي ليست من إنتاج المرسل بقدر ما هي منقولة على لسانه، و نقله على لسانه ينبئ على كفاءته التداولية، إذ

[1] سيبويه، أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تعليق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1999، ج1، ص164.

[2] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 528-529.

يكمن دوره في توظيفها التوظيف المناسب في خطابه، و بهذا فهي تعلو الكلام العادي درجة، مما يجعلها ترقى في السلم الحجاجي إلى ما هو أرفع"[1]

و عليه يتبين أن حجة الدليل يقصد بها الأدلة الجاهزة أو ما يعرف بالشواهد، مثل القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف، و الحكم و الأمثال، و الأقوال المأثورة، يستعملها المحاجج لتدعيم حججه لكي يصل إلى هدفه و هو إقناع المتلقي.

[1] حافظ اسماعيل العلوي، الحجاج مفهومه و مجالاته، دراسة نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، ج1، ص126.

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية لآليات الحجاج

في الأحاديث القدسية

المبحث الأول: الحديث القدسي

1/ تعريف الحديث القدسي لغة و اصطلاحا

أ- الحديث القدسي لغة

ب- الحديث القدسي اصطلاحا

2/ صيغ الحديث القدسي

3/ موضوعات الحديث القدسي و أغراضه

4/ الفرق بين القرآن و الحديث القدسي و الحديث النبوي

أولا: *من حيث نسبته*

ثانيا: *كيفية تلقيه*

ثالثا: *مزيته و فضله*

رابعا: *موضوعه*

المبحث الثاني: النماذج التطبيقية لآليات الحجاج

1- الآليات اللغوية

أ- ألفاظ التعليل

ب- الألفاظ اللغوية

2- الآليات البلاغية

أ- الاستعارة:

ب- التشبيه (التمثيل)

ج- الكناية

د- البديع

3- الآليات الشبه المنطقية

تمهيد:

أنزل الله سبحانه و تعالى الشرائع و الكتب على أنبيائه و رسله كما بين ذلك في كتابه (القرآن الكريم)، و قد خص الله عز وجل في الشريعة الإسلامية بأن كل ما جاء عن الرسول ﷺ وحي و مصدر للتشريع، ولذلك فقد اتفق أهل العلم على أن السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع من حيث المنزلة لا من حيث العمل و كان من بين ما تحدث به الرسول صلى الله عليه و سلم أحاديث يرويها عن رب العزة سبحانه و تعالى دون أن ينسبها للقرآن، لذلك فقد قسم أهل العلم الحديث الشريف إلى قسمين بحسب نسبة لفظه و معناه، الأول : الحديث النبوي، والثاني: الحديث القدسي

فالحديث القدسي هو ما رواه النبي صلى الله عليه و سلم عن ربه عز وجل على غير أسلوب القرآن الكريم و نظمه و إعجازه، و لكنه يشبه بقية الحديث في نظمه وأسلوبه، وهو يعد من السنة النبوية لكون راويه هو النبي صلى الله عليه و سلم و له صيغ متعددة يعرف بها، و قد اختلف العلماء في نسبته إلى الله عز وجل بلفظه و معناه أو بمعناه دون لفظه.

و في هذا البحث حاولنا أن نخرج بالحديث القدسي إلى فضاء معرفي أوسع و أشمل و ذلك بربطه بالحياة الحديثة و مناهج الدرس اللغوي المعاصر، كما يهدف هذا المبحث إلى إظهار مميزات الأساليب الحجاجية في هذه المدونة (الأحاديث القدسية) فينبغي على الدارس التعامل مع نصوص الأحاديث القدسية بوصفها مدونة حجاجية، ومن ذلك فقد حوت هذه

المدونة مجموعة من الآليات اللغوية و البلاغية و الشبه منطقية التي توزعت في سياقه فضلا عن شرف المعاني التي امتزجت به وحيا و إلهاما فألبسته ثوب الهيبة و القداسة.

و بعد التعرض لأهم المفاهيم المتعلقة بالحجاج من جانبه النظري في المبحث الأول من الفصل الأول، و أهم الآليات الحجاجية اللغوية و البلاغية و الشبه المنطقية في المبحث الثاني من نفس الفصل، سنقوم في هذا الفصل التطبيقي بدراسة تطبيقية لتلك الآليات الحجاجية في الأحاديث القدسية، و ذلك للكشف عن مدى تأثير هذه الآليات على المتلقي و إقناعه بالقصد التبليغي من خطاب الله عز و جل.

المبحث الأول: الحديث القدسي

1/ تعريف الحديث القدسي لغة و اصطلاحا:

أ- الحديث القدسي لغة:

القدسي نسبة إلى "القدس" و هو الطهر، قال **ابن منظور**:" التقديس تنزيه الله عز وجل، و التقديس التطهير و التبريك، و تقدس تطهر، و في التنزيل { وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ} البقرة 30، وقال الزجاج : معنى نقدس لك ، أي : نطهر أنفسنا لك، ومن هذا

قيل للسطل "القدس" لأنه يتقدس منه، أي: يتطهر، ومنه بيت المقدس أي: البيت المطهر، أي: المكان الذي يتطهر به من الذنوب" [1]

و هذا يعني أن معنى (القدسي) يدل على معنى الطهارة و النزاهة، و النزاهة هي صفة لله عز وجل وهو منزه من كل العيوب و النقائص و التقديس هو التطهير و البيوت المقدسة بمعنى المطهرة أي أماكن العبادة و مسح الذنوب.

و قال الفيروزبادي " القدس : الطهر اسم مصدر...و البيت المقدس، و جبريل، كروح القدس... و القدوس من أسماء الله تعالى.... و التقديس التطهير، و منه الأرض المقدسة و بيت المقدس... و تقدس: تطهر" [2]

و منه يتبين أن القدس بمعنى الطهر و روح القدس هو جبريل عليه السلام بمعنى روح الطهارة لأنه خلق من الطهارة و القدوس من صفات الله عز و جل و بيت المقدس هو بيت الطهارة و منه فمعنى (قدسي) بمعنى الطهارة و الطهر و النزاهة.

و يتبين مما تقدم عرضه أن المعنى اللغوي لـ (قدسي) يدور في معنى الطهارة و النزاهة و الطهر، و النزاهة هي صفة الله عز و جل و هو منزه من كل العيوب و النقائص.

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (قدس)، دار أحياء التراث العربي، ط3، 1999، ج6، ص 168.

[2] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (قدس)، دار الكتب العملية، بيروت– لبنان، ط1، 2007 م، ج1، ص 728 م

ب- الحديث القدسي اصطلاحا:

الحديث القدسي من الرؤية الاصطلاحية هو الحديث الذي يرويه الرسول صلى الله عليه و سلم عن *الله عز و جل و يتصرف في لفظه على أغلب الأقوال و عرفه الجرجاني بقوله " الحديث القدسي : هو* من حيث المعنى من عند الله تعالى، و من حيث اللفظ من رسول الله صلى الله عليه و سلم فهو ما أخبر الله تعالى نبيه بإلهام أو بالمنام، فأخبر عليه السلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه، فالقرآن مفضل عليه ؛ لأن لفظه منزل أيضا"[1]

و هذا بمعنى أن الحديث القدسي هو كلام الله عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم، قد أوحي إليه معناه في اليقظة أو المنام أي عن طريق الإلهام أو من خلال الرؤيا الصادقة يراها الرسول (ص) في منامه، و هو يختلف في خصائصه عن القرآن الكريم.

وقال الزرقاني: " و صفوة القول في هذا المقام أن القرآن أوحيت ألفاظه من الله اتفاقا و أن الحديث القدسي أوحيت ألفاظه على المشهور و الحديث النبوي أوحيت معانيه في غير ما اجتهد فيه الرسول ﷺ. بيد أن القرآن له خصائصه من الإعجاز و التعبد به و وجوب المحافظة على أدائه بلفظه و نحو ذلك و ليس للحديث القدسي و النبوي شيء من هذه الخصائص"[2]

[1] عبد القاهر الجرجاني، التعريفات، تح عادل أنور خضر، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط1، 2007م، ص83.

[2] عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط2، 2002 م، 51/1.

و نستنتج من هذا القول أن أنواع الكلام التي نطق بها الرسول صلى الله عليه و سلم أنواع ثلاثة: القرآن الكريم و هو ما كان لفظه و معناه من الله عز و جل عن طريق الوحي ، و الحديث القدسي هو ما أوحيت ألفاظه على أغلب الأقوال، و الحديث النبوي و هو ما أوحيت معانيه و لفظه من عند الرسول صلى الله عليه و سلم، و للقرآن الكريم خصائصه التي تميزه عن الحديث القدسي و الحديث النبوي.

- و مما سبق عرضه يتبين أن هذه التعريفات تؤدي معنى واحد و هو أن الحديث القدسي هو الكلام الذي يحكيه الرسول صلى الله عليه و سلم عن الله عز وجل بلفظه، وهو ما أخبر الله عز وجل نبيه بالإلهام أو المنام و هو يختلف عن القرآن الكريم في خصائصه.

2/ صيغ الحديث القدسي:

للحديث القدسي صيغ كثيرة تميزه عن باقي أنواع الأحاديث و أكثر الصيغ التي يعرف بها الحديث القدسي، و أشهرها ما نسبه النبي صلى الله عليه و سلم صراحة و بكل وضوح إلى الله عز وجل مثل " قوله: (قال الله: ...) أو (يقول الله:...) أو (قال ربكم:...) أو (أوحى الله إلي:...) أو غير ذلك من الصيغ التي تثبت القول للرب تبارك و تعالى عن طريق إسناد

فعل القول إسنادا صريحا"[1] و منه فالصيغ الصريحة أن يسند المتن إلى الله تبارك و تعالى باللفظ الصريح، و هذه بعض صيغ الحديث القدسي الصريحة: [2]

1- التصريح بنسبة القول لله تبارك و تعالى، مثل: قال الله أو يقول الله أو نحو ذلك. مثال ذلك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي . صلى الله عليه و سلم . قال:" قال الله تبارك و تعالى: أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر" قال أبو هريرة "و اقرءوا إن شئتم: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) السجدة 18 " متفق عليه.

2- أن يقول راوي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: فيما روى عن الله تبارك و تعالى أو فيما يروي أو يحكي عن ربه تبارك و تعالى. مثال ذلك:

عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر . عن النبي صلى الله عليه و سلم . فيما روى عن الله تبارك و تعالى أنه قال : " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، و جعلته بينكم محرما فلا تظالموا،..." رواه مسلم و منه نستنتج أن الصيغ الصريحة هي التي تثبت قول الله عز وجل إسنادا صريحا إليه تعالى، أو بمعنى إسناد المتن إلى الله تبارك و تعالى باللفظ الصريح،

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، موسوعة جامعة ومشروحة ومحققة، دار الحديث للطباعة والنشر، د ط، دت، 31/1.

[2] علي بن نايف الشحود، الميسر في الأحاديث القديسة، د م ن، ط1، 2013م، ص 5-6.

- و هناك صيغة أخرى غير صريحة يعرف بها الحديث القدسي عن طريق المعنى و الاستدلال " كقول النبي صلى الله عليه و سلم في بعض الأحاديث القدسية "فيقال" من غير تحديد للقائل، و لكننا إذا تتبعنا ألفاظ الحديث علمنا حينذاك أن الله سبحانه و تعالى هو المقصود بذلك القول" [1]و هذا يعني أن الصيغة الغير صريحة هي عدم التصريح بنسب الحديث إلى الله تبارك و تعالى، أما المتن فيحتمل أن يكون من كلام النبي صلى الله عليه و سلم، ومن أمثلة ذلك نجد:

¡Error! Marcador no definido.

ففي هذا الحديث يقول النبي صلى الله عليه و سلم: " فيقال" هكذا على ما لم يسم فاعله، فلم يحدد لنا النبي صلى الله عليه و سلم من الذي نادى أهل الجنة و أهل النار فسألهم جميعا عن الموت قائلا لهم:" هل تعرفون هذا؟" فلم نعرف هل هو الحق تبارك و تعالى؟ أم هو ملك من ملائكته؟ حتى ورد في الحديث جواب أهل الجنة و أهل النار لهذا السائل قائلين: "نعم ربنا". فدل جوابهم هذا على أن الذي خاطبهم بالنداء و السؤال هو المولى عز وجل، فعرفنا حينئذ أن الحديث قدسي بهذه الدلالة".[2]

و منه نستنتج مما سبق عرضه أن الصيغة غير الصريحة هي عدم التصريح بنسب الحديث إلى الله عز وجل، و يعرف بها الحديث القدسي عن طريق المعنى و الاستدلال.

[1] زكريا عمورات، الأحاديث القدسية الصحيحة، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، د ط، دت، ص 05 .

[2] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية ،ج1، ص 14.

3/ موضوعات الحديث القدسي و أغراضه:

إن الباحث في الأحاديث القدسية و المتتبع لمعانيها "يلاحظ بشكل واضح و جلي أن هذه الأحاديث لا تتطرق أبدا إلى الأحكام الفقهية أو التشريعية بالتفصيل و إنما تأتي على ذكرها بغاية الإيجاز و الاختصار" [1]، وتكمن أهمية الحديث القدسي في كونه يتضمن " كلمات تفيض بالنور و القدسية، و تحوطها هالات من البهاء الرباني و السناء الإلهي المشرق المنير، بحيث تشعر و أنت أمام الحديث القدسي، بطعم خاص، و بذوق متميز عن أي كلام، و تراه يشع بالفيض الروحي"[2].

ومنه فهذه المعاني الرقيقة تحمل النفوس على القرب من الله عز و جل و تجعل الحديث الإلهي له "وقعا خاصا في السمع و أثرا في النفس، و تأثيرا كبيرا في العواطف و المشاعر و الأحاسيس" [3].

- كما لا يتعرض الحديث القدسي في موضوعه لتفصيل الأحكام الفقهية و لا لتوضيح الشرائع و العبادات كالحديث النبوي و إنما " يركز على بناء النفس الإنسانية و تقويمها و تربيتها على الأغراض الشرعية و المقاصد الربانية فتجده واردا في حض النفس على الطاعات و المندوبات، وفي تحذيرها من المعاصي و

[1] ينظر: زكريا عمورات، الأحاديث القدسية الصحيحة، ص 07.
[2] المرجع نفسه، ص 07.
[3] المرجع نفسه، ص 07.

المنكرات، و في الدعوة إلى الخير و الفضيلة و مكارم الأخلاق، و في توجيه النفس إلى حب الله و طلب رضاه"[1].

و منه فالحديث القدسي يهدف إلى تطهير النفس الإنسانية من حب الدنيا و أمراض القلب و الروح من تكبر و عجب و أنانية و التعلق بالدنيا وشهواتها، ومن هنا يتبين أن الأحاديث القدسية ليس لها "لون من ألوان الأحكام التكليفية أو جواب على سؤال معين، أو معالجة واقعة معينة، و إنما الملاحظ أنها تؤدي نوعا من التوجيه الرباني، العظيم، بما يتعلق بصحة العقيدة بالله عز وجل، و كمال قدرته و عظمته و سعة رحمته، و بسلامة السلوك و صحة العمل الذي ينسجم مع تلك العقيدة "[2] ، إذن فالأحاديث القدسية تتعلق بالله عز و جل و عظمته و قدرته في ملكه و إظهار رحمته و تنبيه المتلقي على سعة رحمته و كثرة عطائه.

و يتبين مما سبق عرضه أن الحديث القدسي غايته تتمحور حول توجيه النفس البشرية إلى عبادة الله وحده و حبه و طلب رضاه عز وجل، و ترغيب المؤمن في الجنة و تخويفه من النار[3]، و منه فموضوعات الحديث القدسي "تدور في فلك الوعظ و التوجيه و التربية"[4] و التعليم و يتعلق بموضوعات الخوف و الرجاء، و كلام الله جل و علا مع مخلوقاته، و قليل منها يتعرض للأحكام كأحكام الصلاة و الصيام و الحج و الجهاد و غير ذلك.

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص 19.
[2] حسن أحمد أسبر، الأحاديث القدسية، الشركة الجزائرية اللبنانية، ط1، 2007، ص 10.
[3] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص 19.
[4] المرجع نفسه، ص 19.

4/ الفرق بين القرآن و الحديث القدسي و الحديث النبوي:

يمكن أن نتناول الفرق بين الحديث القدسي و كل من القرآن الكريم و الحديث النبوي في عدة وجوه نذكر من بينها:

أولا: من حيث نسبته:

" القرآن الكريم " هو كلام الله سبحانه و تعالى، أوحى به إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بلفظه و معناه، و لا خلاف في ذلك بين أهل الإسلام.

و "الحديث النبوي" أيضا جزء من الوحي الإلهي، أوحى الله به إلى محمد صلى الله عليه و سلم، و لكن بمعناه دون لفظه، تاركا للنبي أن يعبر عن المعنى الموحى به إليه بعبارة نفسه، التي هي في بلاغتها و حسن بيانها أسمى و أجل درجات الكلام الذي يستطيعه البشر.

أما "الحديث القدسي " فهو من كلام الله عز وجل رفعه النبي صلى الله عليه و سلم إلى الله عز وجل، و لكن اختلف العلماء في كونه من عند الله بمعناه و لفظه أم أن معناه و مضمونه من عند الله و لفظه من عبارة النبي صلى الله عليه و سلم"[1].

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبيطي، جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص27.

ومنه فألفاظ الحديث القدسي ليست معجزة كألفاظ القرآن الكريم، و إنما هو من طبقة الحديث النبوي و يشبهه في الصياغة لأنه تتعدد فيه الروايات أما القرآن الكريم فهو منزه عن التغيير و التصرف.

ثانيا: كيفية تلقيه:

كان الوحي يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بإحدى هذه الكيفيات :[1]

1- أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس كما في الصحيح ،و في مسند أحمد عن عبد الله بن عمر سألت النبي صلى الله عليه و سلم: هل تحس بالوحي؟ فقال: " أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تقبض" و في الصحيح أن هذه الحالة أشد حالات الوحي.

2-أن ينفث في روعه الكلام نفثا كما قال صلى الله عليه و سلم" إن روح القدس نفث في روعي" أخرجه الحاكم.

3- أن يأتيه في صورة الرجل فيكلمه كما في الصحيح:

" و أحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول".

4- أن يأتيه الملك في النوم وعد من هذا قوم سورة الكوثر.

[1] المرجع نفسه ص (30،31).

5- أن يكلمه الله إما في اليقظة كما في ليلة الإسراء أو في النوم كما في حديث معاذ " أتاني ربي فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى..."

و منه فهذه الكيفيات لنزول الوحي لم تقتصر على نزول القرآن الكريم فقط، فقد أوحى الله سبحانه و تعالى كذلك بالحديث القدسي و الحديث النبوي إلى الرسول صلى الله عليه و سلم بهذه الكيفيات لنزول الوحي دون تحديد.

ثالثا: مزيته و فضله:

و يقصد به أن هناك فرق في الميزة و الفضل بين القرآن الكريم والحديث القدسي والنبوي" فالقرآن الكريم هو كلام الله المعجز، و هو أفضل الكلام و أحسن الحديث ميزه الله عز وجل بميزات ليست لغيره فجعل تلاوته عبادة و أثاب على قراءته بكل حرف حسنة و الحسنة بعشر أمثالها يضاعف الله لمن يشاء، و جعله متعينا في الصلاة لا تجزئ غيره من الكلام دونه، و غير ذلك من الميزات الكثيرة.

أما الحديث القدسي و كذلك النبوي فهما في الفضل بعد كتاب الله عز وجل، شرفهما من شرف الوحي، وكرامتهما من كرامة الحق، أليس فيهما يقول النبي ﷺ:" ألا إني أوتيت الكتاب و مثله معه"[1]

[1] المرجع السابق، ص 32.

و منه فأفضل الكلام المنزل هو كتاب الله عز وجل لأنه معجز متعبد بتلاوته ثم يأتي الحديث القدسي و الحديث النبوي في الفضل بعد القرآن الكريم.

رابعا: موضوعه

هناك اختلاف في الموضوع بين الحديث القدسي و القرآن الكريم و الحديث النبوي يتمثل في أن " القرآن هو أصل الحق، و مادة الخير، و دستور الهداية، في دين الله عز وجل، أرسى فيه الله دعائم الحق، ومعاني التوحيد، و أصول الإيمان، و فرائض العبادات، و قواعد الشريعة، و أنواع الحلال و الحرام و عموم أمور الدين

و الحديث النبوي هو تفسير ذلك كله، و تفصيل إجماله و توضيح مراده و بيان حدوده فهو من القرآن بمنزلة الشرح و التفصيل و البيان كما قال تبارك و تعالى : **¡Error! Marcador no definido.**(النحل 55).

أما الحديث القدسي فلم يأتي في بيان الشرائع، و لا في تفصيل الأحكام، و إنما هو دستور الأخلاق و الفضائل، و أساس التقويم و التربية، و مادة الحث و التوجيه إلى مرضاة الله تبارك و تعالى"[1]

ومنه فالقرآن الكريم أتى في بيان الشرائع و الحديث النبوي أتى في بيان الأحكام أما الحديث القدسي فيكون غالبا فيما يتعلق بذات الله تعالى و صفاته، فهو دستور الفضائل و

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص (32،33).

الأخلاق و هدفه توجيهي تعليمي تربوي ونستنتج مما سبق عرضه أن " الحكمة من هذا التفريق أن الإعجاز متعلق بألفاظ القرآن الكريم، فلو أجاز الله عز وجل أداؤه بالمعنى أو التغيير و الرواية لذهب إعجازه و اختلف الناس في أصل التشريع أما الحديث القدسي و الحديث النبوي فألفاظهما ليست معجزة، لذلك قد أجاز الله عز وجل روايتهما بالمعنى و تعدد الرواية و ذلك تخفيفا على المسلمين و رعاية لمصالحهم، و لم يمنحهما الله عز و جل تلك الخصائص و القداسة التي تميز بها القرآن الكريم"[1].

المبحث الثاني: النماذج التطبيقية لآليات الحجاج

1- الآليات اللغوية:

أ-**ألفاظ التعليل:** تعتبر ألفاظ التعليل آلية مهمة من الآليات الحجاجية اللغوية يستعملها المحاجج في تبرير فعل ما من أجل إقناع المخاطبين، فتوظيفه إياها يكسب الخطاب طاقة

[1] ينظر: عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، 51/1.

حجاجية كبيرة، و قد وردت في الأحاديث القدسية بمختلف أنواعها، و هنا سنقتصر على دراسة أهم لفظ منها و هو المفعول لأجله فهو من أقوى ألفاظ التعليل التي تخدم الخطاب.

- **المفعول لأجله:** و قد تجسد في الحديث القدسي كما يلي: قال أحمد:

" عن الحسن عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم : فيما يحكي عن ربه تبارك و تعالى قال :

" أيما عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيلي ابتغاء مرضاتي ضمنت له أن أرجعه بما أصاب من أجر و غنيمة و إن قبضته أن اغفر له و أرحمه و أدخله الجنة"[1]

نلاحظ أن لفظ التعليل في هذا الخطاب ظهر بصيغة مفعول لأجله (ابتغاء) وجاء مصدر منصوب مضاف وهو مبرر للفعل الذي قبله (خرج) فهذا التوظيف يبين مكانة المجاهد في سبيل الله فهذا اللفظ التعليلي جعل لخروجه سببا معقولا، إذ يعتبر حجة لإقناع المتلقي و حثه على الجهاد في سبيل الله و ذلك أن الله جل و علا " يخبرنا أن من خرج من عباده مجاهدا في سبيله قاصدا بذلك مرضاة الله عز و جل و رضاه لا أمرا آخر يضمن له إن رجع و عاش أن يرجعه إلى وطنه بما أصاب من أجر أو غنيمة و إن لم يرجع بان

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص 396.

قبضه له تعالى و توفاه شهيدا أن يغفر له ذنوبه . إن كانت له ذنوب . و يرحمه لدخول الجنة لأنه بذل نفسه في رضا الله جل و علا و هذا غاية ما يرجوه العبد"[1].

و منه فالمفعول لأجله ساهم في تقوية الحجة داخل هذا الخطاب باعتباره تبريرا لما قبله قصد التأثير في المتلقي و إقناعه بالجهاد في سبيل الله و " أن تكون نيته خالصة لإعلاء كلمة الله و انتشار الإسلام و هدم الكفر و أهله"[2].

ب- الأفعال اللغوية:

توفرت مجموعة من الأفعال اللغوية في خطاب الله عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم في الأحاديث القدسية و نذكر من بينها:

1- **الاستفهام:** و يندرج هذا النوع من الأفعال اللغوية حسب أوستن ويسرل " ضمن الأفعال الإنجازية إذ يخدم مقاصد الخطاب، بالإضافة إلى هذا له دور كبير في عملية الإقناع فهنا يعتبر الاستفهام استفهاما حجاجيا و قد درسه ديكرو و انسكومبر في أحد فصول كتابيهما " اللغة و الحجاج"[3] وهذا يعني أن الاستفهام يحمل ضمنيا طاقة حجاجية الهدف منها إقناع المتلقي، و قد تجسد في الأحاديث التالية:

[1] محمد منير الدمشقي، النفحات السلفية، شرح الأحاديث القدسية على الأتحافات السنية للمناوي، مكتبة التراث الاسلامي، القاهرة، دط، دت، ص 113.

[2] المرجع نفسه، ص 13.

[3] أبو بكر العزاوي، الخطاب و الحجاج، ص 57.

قال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم:" يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك، فيؤمر بأربع كلمات فيقول: اكتب عمله و أجله و رزقه و شقي أم سعيد"[1].

وجاء هذا الحديث في رواية أخرى لأنس بن مالك: "عن أنس بن مالك . رضي الله عنه . و رفع الحديث أنه قال: إن الله قد وكل بالرحم ملكا، فيقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقا، قال : الملك، أي رب، ذكر أو أنثى؟ شقي أو سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه"*

نلاحظ في هذا الحديث وجود صيغ استفهام تحمل قوة إنجازية حيث أراد النبي صلى الله عليه و سلم من خلالها تبيان قدرة الخالق سبحانه و تعالى في خلق ابن آدم في بطن أمه و يكون ذلك في مراحل و يتبين ذلك من شرح الحديث:

" أن للملك ملازمة تامة للنطفة و أنه يقول: يا رب، هذه نطفة، هذه علقة، هذه مضغة، في أوقاتها، فكل وقت يقول فيه ما صارت إليه بإذن الله تعالى، و لكلام الملك و تصرفه أوقات أحدهما؛ حين يخلقها الله نطفة، ثم ينقلها علقة، و هو أول علم الملك بأنه سيكون ولدا، لأن ليس كل نطفة تصير ولدا، و ذلك عقب الأربعين الأولى، و حينئذ يكتب رزقه و أجله و عمله، و شقاوته، أو سعادته.

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاجديث القدسية، ج1، ص 146.

* محمد الإسكندراني، الأحاديث القدسية، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، ط1، 2004، ج1، ص117، نقلا عن شرح النووي لصحيح مسلم، ج10، ص8، هامش القسطلاني.

و الثاني في وقت آخر و هو تصويره، و خلق سمعه، و بصره و جلده و عظمه، و كونه ذكرا أو أنثى ، . و ذلك يكون إنما يكون في الأربعين الثالثة، و هي مدة المضغة، و قبل انقضاء هذه الأربعين، و قبل نفخ الروح فيه، لأن نفخ الروح لا يكون إلا بعد تمام صورته"[1]

فهذا الحديث يبين قدرة الله عز وجل في خلق الإنسان و مراحل نشأته في بطن أمه، و يتم ذلك كله بعلمه و إرادته، و التأكيد على أنه هو الوحيد القادر على معرفة حياة الإنسان الذي يخلقه و الظروف التي يمر بها في حياته حتى يبلغ أجله، فالأسئلة المدرجة في الحديث تمثل حججا يريد من خلالها الرسول صلى الله عليه و سلم الوصول إلى إقناع المتلقي بعظمة و قدرة الله عز وجل،

وورد الاستفهام في حديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم " ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الآخر فيقول: أنا الملك أنا الملك فمن ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر"[2]

نلاحظ في هذا الحديث وجود صيغ استفهام تتمثل في قوله تعالى (من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ؟) ، (من ذا الذي يسألني؟) ،(من ذا الذي يستغفرني؟) فهذه الصيغ

[1] المرجع السابق، ص 83.

[2] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج3، ص 122.

تحمل قوة إنجازية، حيث أراد الله سبحانه و تعالى من خلالها توجيه المتلقي و "حثه على طلب المغفرة و عذم اليأس من رحمته سبحانه و تعالى مهما تكاثرت المعاصي و الذنوب"[1]، فقوله "(من يدعوني أستجب له؟) أي بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم و (من يسألني فأعطيه؟) أي سؤال الذليل المضطر المنكسر و المشكين لربه المفتقر لرحمة الله تعالى و نعمه مستوفيا لشروط الإجابة و (من يستغفرني فأغفر له؟) أي ما كسبت جوارحه من قضايا و آثام شريطة ألا يكون مصرا على ذنبه"[2]

و تتمثل حجاجية الاستفهام في هذا الحديث من خلال استعمال الأسئلة الموجهة إلى المتلقي قصد استمالته و "حثه على الدعاء و الاستغفار في كل الوقت المذكور إلى إضاءة الفجر"[3]، فتوظيف أفعال الاستفهام اللغوية هنا تعتبر وسيلة لإقامة الحجة و الإقناع إذ يرمي من خلالها الله سبحانه و تعالى في خطابه تنبيه المتلقي إلى " آخر الليل للصلاة و الدعاء و الاستغفار و غيرها من الطاعات أفضل من أوله"[4].

و نستنتج مما سبق عرضه أن الاستفهام طاقة حجاجية و إقناعية قد وظفه الله سبحانه و تعالى في الحديث القدسي كوسيلة لإقامة الحجة و لإقناع المتلقي، كما يحمل قوة إنجازية ساهمت في تحقيق مقصدية خطاب الله عز وجل.

---

[1] عبد القادر عرفان العشاحسوني، موسوعة الجامع الصحيح الأحاديث القدسية مع شرحها و ما صح من أحاديث الملائكة الكرام و الجان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، دط، 2002، ص 202.

[2] المرجع نفسه، ص(201–202).

[3] المرجع السابق، ص 202.

[4] المرجع السابق، ص 202.

2- **النفي:** يعد النفي من الأفعال اللغوية، فهو "آلية حجاجية يلعب دورا فعالا في توجيه المتلقي إلى تغيير موقعه"[1]

و قد ورد في الأحاديث القدسية في عدة مواضع نجد من بينها الأحاديث التالية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، و لا ينظر إليهم و لا يزكيهم و لهم عذاب أليم؛ رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى و هو كاذب، و رجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم، و رجل منع فضل ماء فيقول الله يوم القيامة: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك"[2]

نلاحظ من خلال هذا الخطاب أن الرسول صلى الله عليه و سلم استعمل النفي بمثابة حجج في قوله (لا يكلمهم الله و لا ينظر إليهم و لا يزكيهم) و هذا الاستعمال يعكس تفاعلا حجاجيا بينه و بين المتلقين المخاطبين و يقول النووي رحمه الله " معنى لا يكلمهم: أي لا يكلمهم تكليم أهل الخيرات بل بكلام أهل السخط و الغضب، و قيل: المراد الإعراض عنهم و قال جمهور المفسرين: لا يكلمهم كلاما لا ينفدهم و يسرهم، و معنى لا ينظر إليهم : أي

[1] عزيز لدية، نظرية الحجاج، تطبيق على نثر ابن خلدون، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2015، ص 110

[2] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص (510، 511)

يعرض عنهم، ونظره سبحانه و تعالى لعباده: رحمته و لطفه بهم، و معنى لا يزكيهم : لا يطهرهم من دنس ذنوبهم، و قال الزجاج و غيره: معناه لا يثني عليهم"[1]

ففي هذا النفي تحذير من عاقبة هاته الأعمال " فالرجل الذي منع فضل الماء، يقول الله تعالى له اليوم أمنعك فضلي كما منعت ما لم تعمل يداك، و الرجل الذي بايع رجلا و لم يف له أي غشه فعليه سخط الله و الرجل الذي حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم له و عيد شديد، وقد خص وقت العصر لتعظيم الإثم فيه"[2]

و منه يتبين الدور الحجاجي الذي لعبته أفعال النفي اللغوية الإنجازية التي تدل على الزجر و الترهيب، فقد جاء بها الرسول صلى الله عليه و سلم لمحاججة المخاطبين و تقريرها و ترسيخها في نفوسهم وجاء النفي في حديث آخر:

((عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ))[3]

[1] المرجع نفسه، ص 112.

[2] ينظر: أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج 13 ص 203.

[3] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص 314.

تتمثل صيغ النفي في هذا الحديث في قوله تعالى (فلا يرفث و لا يصخب) " فقوله: فلا يرفث: فلا يقل قول فحش و قال كثير من العلماء أن المراد به في هذا الحديث الفحش و رديء الكلام و قوله : و لا يصخب : أي و لا يرفع صوته في الخصام و يضطرب بهذيان و قوله: فليقل إني امرؤ صائم : هنا يحتمل القول اللساني ليندف عنه الخصم أو أن يتفكر في نفسه أنه صائم لا يجوز له الغضب أو السب أو هما معا فيكون أكمل"[1].

فالصوم وقاية للمؤمن من الأخلاق الذميمة، و الله عز و جل في هذا الحديث ينهى الصائم عن الرفث و الصخب، و منه يمثل النفي في هذا الحديث حججا تحمل قوة إنجازية أراد بها الله عز و جل أن يبين أجر و ثواب الصائم عنده و هو دخول الجنة، و قد وظف الله سبحانه و تعالى هذا النوع من الأفعال اللغوية لإقناع المتلقي باجتنابها لأنها تفسد الصوم.

و يتبين مما سبق أن لصيغ النفي وظيفة حجاجية في الحديث القدسي فأفعال النفي اللغوية تحمل قوة إنجازية و قد جسدها الله عزو جل في خطابه لإقناع المتلقي و توجيهه إلى تغيير موقفه اتجاه قضية ما.

[1] ينظر: محمد منير الدمشقي، النفحات السلفية، شرح الأحاديث القدسية على الإتحافات السنية للمنشاوي ص 163.

3- الأمر:

يعد الأمر من الأفعال التوجيهية الإنجازية إذ " يتمثل إنجازه في محاولة دفع المخاطب للقيام بفعل معين"[1]

و قد ورد هذا النوع من الأفعال اللغوية في الحديث القدسي في الخطابات التالية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : "إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى و أسد فقرك و إلا تفعل ملأت يديك شغلا و لم أسد فقرك"[2]

ورد في هذا الحديث فعل الأمر في قوله عز وجل (تفرغ لعبادتي) و هو فعل توجيهي يحمل قوة إنجازية و قد وظفه الله سبحانه و تعالى في هذا الخطاب للتأثير على المتلقي و استمالته للقيام يه لأنه " أمر من الله تعالى لعباده أن يفرغوا قلوبهم إلى عبادته لا يشغلوها بسواه فتملأ صدورهم عنى و لا ينظروا إلى الدنيا و زهرتها و لا ما في أيدي الناس، بل الدنيا بأيدهم دون قلوبهم، و يسد فقره، بأن لا يحتاج لأحد سواه و تشبع نفسه و تزهد في الدنيا، و إن لم يفعل ما أمره الله به ملأ صدره شغلا بأن يكون همه الدنيا لا يشبع من حطامها، و لم يسد فقره: بل يكون دائما محتاجا فيها و إن كان لديه مال كثير "[3]

---

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج5، ص 123.

[2] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص (510، 511).

[3] مينظر: حمد منير الدمشقي، النفحات السلفية، شرح الأحاديث القدسية على الإتحافات السنية للمناوي ص 9.

و منه يتضح أن الله عز وجل لجأ إلى استعمال هذا النوع من الأفعال اللغوية لغرض حجاجي وهو إقناع المخاطب بضرورة التفرغ لعبادته لما لهذا الفعل من أجر و منفعة وثواب كبير في الدنيا و الآخرة.

- و في حديث آخر: " عن ابن مسعود رضي الله عنه عن القضاعي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: قال الله تعالى: يا دنيا اخدمي من خدمني و استخدمي من خدمك"[1]

ورد في هذا الحديث فعلا الأمر في قوله تعالى: (اخدمي، استخدمي) و بتوظيفهما اكتسب خطاب الله عز وجل بعدا حجاجيا إذ يعتبران حجتان استعملهما الله عز و جل لتوجيه المتلقي و إقناعه بذم الدنيا و عدم التعلق بها لأن مصيرها إلى الفناء " فالله ﷻ يخاطب الدنيا و ينزلها منزلة من يعقل، ليأمرها بأن تخدم من تفرغ لخدمة ربه و اجتهد في العبادة و أكثر من الخيرات و تجنب المنهيات و انكب على الطاعات و جعل أكبر همه الآخرة و العمل لها، و لا يجعل همه الدنيا و زينتها و إنما زينة الحياة الدنيا بلباس التقوى و شرف العمل الصالح و الإحسان إلى نفسه و أهله و إخوانه، و من جعل همه الدنيا و لذاتها كان خادما للدنيا ومن أبنائها

وليس له حظ من الآخرة فهو عبد درهم ودينار"[1]ومنه فأفعال الأمر في هذا الحديث ساهمت في تجسيد الفكرة وحضورها في ذهن المتلقي وهي " كراهة الدنيا وشهوتها وزخارفها

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج5، ص 2430.

لأن متاعها زائل والزهد فيها والإقبال على الآخرة ونعيمها والتمتع بنعيم الجنة التي وصفها الله عز وجل بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر "[2]. وقد وظف الله عز وجل أفعال الأمر التي تؤدي قوة إنجازيه وقدرة إقناعيه كبيرة لدعم قصده التبليغي من الخطاب.

ومنه نستنتج أن أفعال الأمر الإنجازية تتميز بطاقة حجاجية كبيرة استعملها الله عز وجل في الحديث القدسي للتأثير على المتلقي واقناعه بقصده التبليغي من الخطاب.

ويتبين مما سبق عرضه أن أفعال الكلام التداولية تتميز بطاقة حجاجية قوية. وقد وظفها الله عز وجل في الحديث القدسي للتأثير في المتلقي وإقناعه بقصده التبليغي من الخطاب ,ومنه نستنتج أن نص الحديث القدسي يهدف إلى التبليغ والتعليم .

4- الوصف :

يشتمل الوصف عددا من الأدوات اللغوية والتي تتميز بدور إقناعي حجاجي في الحديث القدسي ونجد من بينهما الصفة واسم الفاعل واسم المفعول :

أ. **الصفة:** تعد الصفة "من الأدوات التي تمثل حجة للمرسل في خطابه ,و ذلك بإطلاقه لنعت معين في سبيل إقناع المرسل إليه"[3] و قد تجسدت في

[1] محمد منير الدمشقي، النفحات السلفية، شرح الأحاديث القدسية على الإتحافات السنية للمناوي ص 282.
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص (282-283).
[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 486

خطاب الله عز وجل على لسان نبيه ﷺ في عدة أحاديث قدسية من بينها قال الحميدي:

((قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ، ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ))[1]

وقد أدرج الله عز وجل في هذا الحديث ثلاث صفات للجنة في قوله (مالا عين رأت)و(ولا أذن سمعت) و(لا خطر على قلب بشر) فقوله " (مالا عين رأت ولا أذن سمعت) والعين حين ترى تكون محدودة، لكن السمع دائرته أوسع من الرؤية لأنه سيسمع ممن رأى، وأنه سمع فوق ما رأى ، إذا :فدائرة الإدراكات تأتي أولا : بأن يرى الانسان ثم بأن يسمع , وهو يسمع بأكثر مما يرى .

ثم يقول (ولا خطر على قلب بشر) أي: إن ما في الجنة أكبر من التخيلات، إذا :هناك ثلاث صفات للجنة الأولى: قوله «مالا عين رأت» والعين مهما رأت فدائرتها محدودة .

و الثانية: قوله «ولا أذن سمعت » والأذن إن سمعت فدائرتها أوسع قليلا.

و الثالثة: قوله " ولا خطر على قلب بشر » وهذا أوسع من التخيلات"[2]

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، 521/4.

[2] ينظر محمد متولي الشعراوي، إعداد وتقديم عادل أبو المعاصي، الأحاديث المقدسية، دار الروضة للنشر والتوزيع، ط1، 2002، 71/1.

وتمثل هذه الصفات حجج أراد بها الله عز وجل في خطابه توجيه انتباه المتلقي إلى أن «ما هو موجود في الجنة لا تعلمه نفس في الدنيا ، ولا يوجد لفظ في اللغة يعبر عنه، ولا ملكة من ملكات المعرفة كالسمع والنظر قد رأته، ولذلك استخدم الحق تبارك و تعالى الألفاظ التي تتناسب مع عقولنا و إدراكنا »[1]

والله عز و جل في هذا الحديث "يَعِدُ عباده الصالحين بأمر غيبي ,واستخدم ألفاظ معروفة وموجودة في الواقع لكي يقرب المعنى إلى ذهن البشر ,فالله جل وعلا يعطينا صورة عن شيء هو في علم الغيب لا ندركه ولا نعرفه ,وقد وعد بأنه سيصبح حقيقة بمشيئته يوم القيامة" [2] ومنه فقد أطلق الله عز وجل هذه الصفات على الجنة لإقناع المتلقي إذ أن الوصف هنا حجاج يزيل الكثير من التساؤلات حول الجنة ونعيمها , والجزاء الذي ينتظر المؤمن يوم القيامة .

وفي حديث آخر: برواية احمد: عن أبي سعيد الخضري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:«..فأما أهل النار فلا يموتون ولا يحيون ,و أما ناس فيؤخذون بذنوبهم فيحرقون فيكونون فحما ثم يأذن الله في الشفاعة فيوجدون ضبارات ضبارات فيقذفون على نهر فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل....»[3]

[1] المرجع نفسه ص 70.
[2] المرجع نفسه ص 70-71.
[3] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، 4/ 570.
* عبد القادر عرفان العشاحسوني، موسوعة الجامع الصحيح الأحاديث القدسية مع شرحها، ص 434

وجاء الحديث بصيغة أخرى: برواية مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، لكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم– أو قال – بخطاياهم فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحما، أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ,فينبتون نبات الجنة تكون في حميل السيل "*

نلاحظ أن رسول الله ﷺ أدرج في هذا الخطاب نعت في قوله (ضبائر ضبائر) فهو نموذج للوصف وحجة يريد بها الرسول ﷺ إبراز عفو الله عز وجل عمن أصابتهم النار بذنوبهم من أهل التوحيد أما أهل الكفر فلا شفاعة لهم ولا عفو عند الله فقوله صلى الله عليه وسلم "(أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون) والمراد بأهل النار: أهل الكفر ممن استوجب العذاب المؤبد، فلا هم يموتون فينتهي عذابهم بموتهم ولا هم يحيون حياة ينتفعون بها ويستريحون معها وقوله (ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم

– أو قال – بخطاياهم فأماتهم إماتة) وذلك بإحراقهم بالنار، وبما يلقونه من هولها وشدتها وعذابها، وقوله (حتى إذا كانوا فحما) يدل أن النار تعمل في أجسادهم، وقوله (ضبائر ضبائر) أي جماعات جماعات، وقوله (حميل السيل) الحميل بمعنى المحمول ، وهو الغثاء الذي يحتمله السيل وقوله(فبثوا على أنهار الجنة) أي فرقوا " [1]

[1] المرجع السابق، ص 434.

ومنه فأهل التوحيد مهما عذبوا في النار فمصيرهم الخروج منها بعفو وشفاعة الله غز وجل ودخول الجنة، أما أهل الكفر فعذابهم مؤبد فلا شفاعة لهم ولا عفو عند الله، إذن فهذا النعت الذي أطلقه الرسول ﷺ ينهض بدور حجاجي يتمثل في إقناع المتلقي وتوجيه انتباهه إلى أن المؤمن مصيره دخول الجنة برحمة الله عز وجل مهما كثرت ذنوبه فإن الله يعذبه في نار جهنم ثم يعفوا عنه ويدخله الجنة أما الكافر فلا عفو ولا شفاعة له عند الله فعذابه أبدي ومنه نستنتج مما سبق عرضه أن للصفة دور حجاجي في الحديث القدسي، وقد وظفها الله عز وجل كحجة في خطابه لإقناع المتلقي فهي حجاج يزيل الكثير من التساؤلات حول مصير الانسان يوم القيامة وما ينتظره من جزاء وعقاب.

ب. اسم الفاعل:

عن الطبراني في الأوسط قال: قال رسول الله ﷺ: { إِنَّ اللهِ يَقُولُ: أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا مَالِكُ الْمُلوْكِ وَمَالِكُ الْمُلُكِ قُلُوبُ الْمُلُوكِ بِيَدِي، وَإِنَّ الْعِبَادَ إِذَا أَطَاعُونِي حَوَّلْتُ قُلُوبَ مُلُوكِهِمْ عَلَيْهِمْ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَإِنَّ الْعِبَادَ إِذَا عَصَوْنِي حَوَّلْتُ قُلُوبَ مُلُوكِهِمْ عَلَيْهِمْ بِالسَّخَطِ وَالنِّقْمَةِ فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، فَلَا تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِالدُّعَاءِ عَلَى الْمُلُوكِ وَلَكِنْ اشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِالذِّكْرِ وَالتَّضَرُّعِ أَكْفِكُمْ مُلُوكَكُمْ}[1]

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، 3/ 49.

ففي هذا الحديث عرض الله عز وجل صفة من صفاته والتي يتميز بها عن غيره، " فالله جل وعلا تباركت أسماؤه وتنزهت صفاته"[1] ، وقد جاءت هذه الصفة على صيغة اسم الفاعل في قوله (مالك الملك) فهنا «يخبرنا الله عز وجل بأنه مالك الملك وملك الملوك وليس لأحد تصرف وإنما المتصرف في الملك والملكوت هو الله وحده، أي أن كل شيء من حركة وسكون بيده عز وجل وكل ما يقع في ملكه فهو المتصرف فيه المنفرد بخلقه وإيجاده لا يشاركه أحد فيه، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك وإذا فعلوا ذلك بكم من سيئات الأعمال وقبائح الأقوال والتنكيل بكم، لأنه لا ينفعكم الدعاء ولا ينصركم رب الأرض والسماء لأنه لا فعل لملككم وسلطانكم ولا قدرة له على ذلك، بل أنا الله الذي أقدرته على ذلك وسلطه عليكم بحسب أعمالكم السيئة »[2]

ومنه يتبين أن هذا الوصف من أهم الأشكال الحجاجية التي تجعل المخاطب يقبل بالحكم المذكور وهو أن الله عز وجل هو ملك الملوك ومالك الملك وهو المتصرف الوحيد في ملكة لا ينازعه ولا يشاركه فيه أحد ومنه فاسم الفاعل يحمل وظيفة إقناعية حجاجية.

[1] محمد منير الدمشقي، النفحات السلفية، شرح الأحاديث القدسية، ص81.
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص81-82.

ج. اسم المفعول:

عن أبي سعيد الخذري قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل" إن عبدا أصححت له جسمه، وأوسعت عليه في المعيشة فأتى عليه خمسة أعوام لم يفد إلي لمحروم "[1]

في هذا الحديث عرض الله عز وجل صفة ميز بها عبدا لم يشكر نعمه عليه وقد جاءت على صيغة اسم المفعول في قوله تعالى (محروم) وهي تشكل دليل وحجة أراد بها الله عز وجل إقناع المتلقي بضرورة الشكر والعرفان بنعم الله عز وجل عليه والتقرب إليه بالطاعات والفرائض "فالعبد إذا كان صحيح الجسم كثير الرزق فحق عليه أن يتذكر ذلك ويعلم أن هذا من مولاه تفضلا منه وإحسانا فيقوم ببعض حق الشكر له تبارك و تعالى للزيارة في بيته – وهو الكعبة – ومن لم يفعل ذلك وتناءى وكسل فهو محروم من نعم الله جل ذكره وإحساناته، ولا يخفى أن من كان هذا حاله لحقيق بالحرمان " [2]

بمعنى أن هذا الوصف (محروم) من الأوصاف الحجاجية التي تدل على معنى مجرد وغير دائم قصد إقناع المتلقي بالحكم المذكور وهو أنه من لم يشكر الله على نعمه وذلك بالتقرب إليه بالطاعات والفرائض فسيجازيه بالجفاء والحرمان من نعمه وإحسانه جل وعلا .

ومنه يتبين أن اسم المفعول يضطلع بدور حجاجي كبير يساهم في عملية الإقناع.

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، 1/ 350.

[2] محمد منير الدمشقي، النفحات السلفية، شرح الأحاديث القدسية على الإتحافات السنية للمناوي، ص 41.

ويتبين مما سبق عرضه أن الوصف ينهض بدور حجاجي في الحديث القدسي وذلك من خلال أدواته التي تتميز بدور إقناعي حجاجي، فالصفة واسم الفاعل واسم المفعول تعتبر أدوات للفعل الحجاجي وعلامة عليه وقد وظفها الله عز وجل في خطابه للتأثير في المتلقي وإقناعه بقصده التبليغي من الخطاب.

ب. التكرار:

يعد التكرار من انجع الوسائل اللغوية التي تؤكد وترسخ قصد المحاجج في ذهن المتلقي، وقد تجسدت هذه الآية بشكل واضح وجلي في الحديث القدسي، وينقسم التكرار إلى قسمين :

أولا :التكرار في اللفظ والمعنى :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إذا أحب الله العبد نادى جبريل أن الله يحب فلانا فأحببه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضح له القبول في الأرض "[1]

في الحديث تكرار للفظة (جبريل) مرتين ولفظة (اهل السماء) مرتين وقد جاء التكرار في هذا الحديث لتأكيد حقيقة غائبة عن ذهن المخاطب وهي المشاعر الإيجابية التي تربط بين الأفراد فتنشأ المودة والرحمة بينهم " فقد تنشأ المودة بسبب القرابة والمصالح

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، موسوعة جامعة و مشروحة و محققة، دار الحديث للطباعة و النشر د ط، د ت، 372/5.

المتبادلة والصداقة فهذه أسباب المودة في الدنيا بين الخلق جميعا أما هنا، بدون سبب من أسباب المودة هذه، فهي مودة بدون قرابة، وبدون مصالح مشتركة أو صداقة، هذه محبة جعلها الله بين المؤمنين، فضلا منه سبحانه وتكرما "[1]

وهذا يعني أن الحديث القدسي قد أكد ورسخ هذه الحقيقة بواسطة التكرار في ذهن المتلقي وهذا يبين الدور الحجاجي للتكرار .

- وجاء التكرار في الحديث القدسي ليفيد التنبيه، قد نبه المتلقي إلى التفريق بين محبة الله لعبده ومحبة الإنسان لله "فمحبة الله لعبده ,إنما هي بمعنى رضاه عنه وتوفيقه لما يحب ويرضى، وهذا الرضى إنما منشأه محبة العبد لربه بالتقرب إليه جل وعلا بتوفيق منه، وأفضل ما يتقرب العبد به إلى ربه الفرائض ثم النوافل "[2] ومنه فالحديث يحث المتلقي على الامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى واجتناب نواهيه ليكسب محبته ورضاه .

فأسلوب التكرار إذن في هذا الحديث فيه استمالة لذهن المتلقي وإقناعه وبذلك يؤدي وظيفة إقناعية حجاجية .

[1] ينظر: محمد متولي الشعراوي، الأحاديث القدسية، 2/375- 376.

[2] عبد القادر عرفان الغشاحسوني، موسوعة الجامع الصحيح للأحاديث القدسية، ص117.

ثانيا :التكرار في المعنى:

" قال رسول الله ﷺ : تَضَمَّنَ اللَّه لِمنْ خَرَجَ في سَبيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إلاَّ جِهَادٌ في سَبيلي، وإيمانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ برُسُلي فَهُوَ ضَامِنٌ عليّ أنْ أدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أوْ أرْجِعَهُ إلَى مَنْزِلِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ بِمَا نَالَ مِنْ أجْرٍ، أوْ غَنِيمَة "[1]

في هذا الحديث تكرار لمعنى واحد وهو الحث على الجهاد في سبيل الله ,وقد وظف هذا التكرار ليبين الجزاء الذي سيلاقيه المجاهدون في سبيل الله " فالمؤمن عندما يدخل الحرب يرغب في أحد أمرين كلاهما حسن : النصر أو الشهادة، فهو يثق أنه الفائز بكل شيء، فإن قتل دخل الجنة ونزل فيها منزلة الشهداء وإن انتصر فسيحضى بالأجر والغنيمة " [2]

فأسلوب التكرار إذن في هذا الحديث يوحي بإقناع المتلقي وحثه على الجهاد في سبيل الله ويغريه بالجزاء الذي ينتظره وهو الحجة التي استعملها لتحقيق الغاية المنشودة وهي إقناع المتلقي وحثه على الجهاد في سبيل الله.

ومنه فإن هذا الأسلوب – التكرار– له طاقة حجاجية استعملها الله سبحانه وتعالى في تبليغ خطابه والتأثير على المخاطب ودفعه إلى القيام بالعمل الذي حث عليه وهو الجهاد لينال الجزاء في الدنيا والاخرة، ويبعد الملل عن المتلقي لأن العبارة تتبدل في كل مرة

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، 258/1.

[2] ينظر: محمد متولي الشعراوي، الأحاديث القدسية، اخداد وتقديم عادل أبو المعاصي، 378/2.

ويتضح مما سبق ذكره أن للتكرار وظيفة حجاجية في الحديث القدسي و ذلك لكونه يؤكد ويرسخ المعنى في ذهن المتلقي .

2- الآليات البلاغية:

أ- الاستعارة:

تحمل الاستعارة بعدا حجاجيا لكونها وسيلة تؤدي إلى الإقناع المتلقي، و يقول طه عبد الرحمان في هذا الشأن " فقد ظهر أن العلاقة الاستعارية هي أدل ضروب المجاز على ماهية الحجاج "[1] بمعنى أنها من أحسن وسائل التبليغ لما لها من طاقة حجاجية تكمن في علاقة المشبه بالمشبه به، فالصفة التي تجمع بينهما هي التي تبين ما يريد المتكلم أن يوصله إلى المتلقي من أفكار، فتوظيفها في الخطاب يزيده وضوحا، مما يجعل المتلقي يدرك الفكرة التي يريد المتكلم أن ينقلها إليه.

و قد وردت هذه الآلية الحجاجية في خطاب الله سبحانه و تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم في عدة أحاديث من بينها:

((خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ منه قامَتِ الرَّحِمُ، فأخَذَتْ بحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فقالَ له: مَهْ، قالَتْ: هذا مَقامُ العائِذِ بكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قالَ: ألا تَرْضَيْنَ أنْ أصِلَ مَن وصَلَكِ، وأَقْطَعَ مَن قَطَعَكِ، قالَتْ: بَلَى يا رَبِّ، قالَ: فَذاكِ))[2]

[1]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 233.
[2] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج5، ص7

وقد تجسدت الاستعارة في هذا الحديث في قوله تعالى(قالت: هذا مقام العائد من القطيعة) حيث شبهت الرحم بإنسان يتكلم فحذف المشبه به (الإنسان) و أبقى على صفة من صفاته و هي (القول) على سبيل الاستعارة المكنية، و هي استعارة حجاجية أراد بها الله سبحانه و تعالى توجيه المخاطب و حثه على صلة الأرحام و التحذير من قطعها "لأن صلة الرحم من أعظم الأعمال عند الله سبحانه و تعالى، فهي زيادة و بذل و عطاء و إرشاد و معونة، و توجيه و إكرام، فإذا وصلت الرحم وصلك الله، و إذا قطعت الرحم قطعك الله" [1]

و قد أراد الله سبحانه و تعالى من خلال هذا الخطاب " تعظيم شأن الرحم و فضيلة واصلها، و إثم قاطعها" [2]، فالرحم في حوارها تستجير بالله سبحانه و تعالى من القطيعة عندما قالت:

(هذا مقام العائد) أي قيامي هذا قيام العائد المستجير (بك من القطيعة)"[3]

و يقصد بصلة الرحم علاقة القرابة و النسب و "هي واجبة و قطيعتها معصية، و قد بين هذا الحديث عاقبة كل من الواصل و القاطع لصلة الرحم"[4]، و منه فهذه الاستعارة تتميز بطاقة حجاجية و قد وظفها الله سبحانه و تعالى في الحديث القدسي لتقوية المعنى و زيادة التأثير في المتلقي و إقناعه بضرورة المحافظة على صلة الرحم لأنه يصل من وصلها او يقطع من يقطعها.

[1] ينظر: موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، أحاديث رمضان، أحاديث قدسية و أدعية مأثورة 1423 هـ ، ص (87،88) WW.NABULS.COM

[2] جمال محمد علي الشقيري، الأحاديث القدسية، مكتبة الثقافة للنشر، عمان –الأردن، دط، دت، 118/1.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 119.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 117-118.

- وقد وردت الاستعارة في حديث آخر، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه و سلم: تحاجت الجنة والنار، فقالت النار أوثرت بالمتكبرينّ، و المتجبرين، و قالت الجنة، مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك و تعالى للجنة: أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي، و لكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار: فلا تمتلئ حتى يضع رجله، فتقول: قط، قط، قط؛ فهنالك تمتلئ و يزوى بعضها إلى بعض، و لا يظلم الله . عز و جل . من خلقه أحدا، و أما الجنة: فإن الله عز وجل . ينشئ الله لها خلقا"[1]

تكمن الاستعارة في هذا الحديث في تشبيه الجنة والنار للإنسان الذي يخاصم و يحتج حيث حذف المشبه به (الإنسان)، و أبقى شيئا من صفاته و هي (الاختصام) على سبيل الإستعارة المكنية، " واختصاصهما هو افتخار إحداهما على الأخرى بمن يسكنها، فتظن النار أنها بمن ألقى فيها من عظماء الدنيا أثر عند الله من الجنة، و تظن الجنة أنها بمن يسكنها من أولياء الله تعالى أثر عند الله من النار...(فقال الله) مجيبا لهما، و مبينا بانه لا فضل لأحداكما على الأخرى عن طريق من يسكنها، و قد رد الله تعالى ذلك إلى مشيئته، فقال تعالى للجنة: أنت رحمتي، و قال للنار: أنت عذابي، أصيب بك من أشاء، ولكن لكل منكما ملؤها، فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدا، و أنه ينشئ للنار من يشاء من خلقه فيلقون فيها"[2]

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج3، ص 294.
[2] جمال محمد علي الشقيري، الأحاديث القدسية، مكتبة الثقافة للنشر والتوزيع، دط، دت، ج2، ص 436.

وقد وظف الرسول ﷺ هذا التركيب الاستعاري الحجاجي في خطابه كونه أبلغ من الحقيقة و أكثر تأثيرا في نفس المتلقي مما يؤدي إلى إقناعه بأنه سيكون هناك "خصام حقيقة بين الجنة و النار بأن يخلق الله فيهما حياتا و فهما و كلاما و الله قادر على كل شيء"[1]

و منه فهذه الاستعارة تتميز بطاقة حجاجية تجسدت في العلاقة الحوارية بين الجنة و النار و ذلك بالمخاصمة و الاحتجاج بينهما للوصول إلى نتيجة من خلال خطاب الله سبحانه و تعالى لهما بقوله أنه لا فضل لإحداكما عن الأخرى و أنه بمشيئته يدخل من أراد إلى الجنة، و يدخل من أراد إلى النار،

- وفي حديث آخر : إن الله يقول لملائكته على لسان النبي صلى الله عليه و سلم:" انطلقوا يا ملائكتي إلى عبدي فصبوا عليه البلاء صبا فيصبون عليه البلاء فيحمد الله فيرجعون فيقولون يا ربنا صببنا عليه البلاء كما أمرتنا فيقول ارجعوا فإني أحب أن اسمع صوته"[2]

الشاهد في هذا الحديث (فصبوا عليه البلاء صبا) و تكمن الاستعارة في تشبيه البلاء بالشيء السائل الذي يصب، حيث حذف المشبه به و أبقى شيئا من صفاته و هي الصب على سبيل الاستعارة المكنية، و هي استعارة حجاجية أراد بها الله سبحانه و تعالى توجيه المخاطب و حثه على الصبر عند الابتلاء لأن في ذلك ثوابا عظيما عند الله سبحانه و تعالى فالصب هو السكب، و صب الماء إراقته من أعلى و الابتلاء الاختبار و الامتحان و

[1] أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح، صحيح البخاري، ج13، ص 436.
[2] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج3، ص 57.

التجربة، و المعروف أن الابتلاء يكون في الخير و الشر معا من غير فرق بين فعليهما و المراد بالصب هنا العرض و الالقاء أعرضوا و ألقوا يا ملائكتي على عبدي فلان البلاء ليختبر و يمتحن ليظهر خيره أو شره لغيره، و قد سمى الله التكاليف الشرعية بلاء لأن التكاليف كلها مشاق على الأبدان فصارت من هذا الوجه بلاء و اختبار الله تعالى للعباد بكون من جهة بالمسار ليشكروا، و من جهة أخرى بالمضاد ليصبروا فصارت المحنة و المنحة كلها بلاء، فالمنحة تقتضي الشكر، و المحنة تقتضي الصبر"[1].

و منه نستنتج أن هذه الاستعارة مقوم حجاجي إقناعي يعمل على التأثير في المتلقي مما يؤدي إلى إقناعه و دحضه بضرورة الالتزام " بالصبر و احتساب الأجر عند الابتلاء"[2]، و تتميز هذه الاستعارة بطاقة حجاجية تعمل على إقناع المخاطب و تغيير موقعه الفكري و العاطفي تجاه القضية المطروحة في هذا الحديث و هي صبر الإنسان عند البلاء فينال بذلك الأجر و الثواب من الله سبحانه و تعالى.

و يتبن مما سبق عرضه أن للاستعارة و ظيفة حجاجية قوية في الحديث القدسي لأن التركيب الاستعاري أبلغ من الحقيقة و أكر تأثيرا في المخاطب، و كذلك يمكن اعتبار كل استعارة حجاجية هي استعارة جمالية لأن الحجاج يتضمن الجمال و الإقناع معا و كلاهما يؤثر في المتلقي.

[1] ينظر: محمد منير الدمشقي، النفحات السلفية، شرح الأحاديث القدسية على الإتحافات السنية للمناوي، ص (12، 13، 110).
[2] المرجع نفسه، ص12.

ب- التشبيه (التمثيل):

يعتبر التشبيه أداة حجاجية بلاغية، حيث يساهم بشكل كبير في زيادة تقريب المعنى و توضيحه و منه زيادة في القوة الحجاجية للخطاب، و بالتالي يحصل به الإقناع، و قد تجسد في الحديث القدسي من خلال الأمثلة التالية:

((عن ابن عباس قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " قال الله – تبارك وتعالى – : إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطِل على خلقي ولم يبت مصرا على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتي وأستحفظه ملائكتي أجعل له في الظلمة نورا وفي الجهالة حلما ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة"))[1]

وردفي هذا الخطاب تشبيه تمثيلي يقصد به تقريب المعنى، و يتمثل في تشبيه الله سبحانه و تعالى عباده الصالحين الذين يتصفون بتلك الصفات النبيلة بنور الشمس الذي "[2] يظهر لأهل الله من ملائكة و أنبياء و أولياء، و يستطل به أهل الفسوق فيحفظه المولى جل ذكره بعزته أي بقوته و شدته، و لا يخف على الفطن ما في هذا التعبير من الاعتناء و الحماية و الصيانة لعبده المطيع المتصف بهذه الخصال، و مع كل هذا الإكرام يجعل له المولى نورا في الظلمة و حلما في الجهالة.

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص (242، 241).
[2] محمد منير الدمشقي، النفحات السلفية، شرح الأحاديث القدسية على الإتحافات السنية للمناوي، ص 46.

ثم شبههم بالفردوس الأعلى من الجنة " فالفردوس من أحاسن الجنان و أرفعها و أعلاها منزلة "[1] و هذا يدل على علو منزلتهم عند الله و قد وظف الله سبحانه و تعالى هذا التشبيه التمثيلي في الحديث القدسي ليحقق الإقناع فهو يمثل حجة استدلالية تستهدف عقل المخاطب و تؤثر في نفسيته، ومنه يتبين أنه أضفى طاقة حجاجية للخطاب، و هذا يساهم في إقناع المتلقي بضرورة الاتصاف بهذه الصفات النبيلة التي يتميز بها عباد الله الصالحين لكي ترفع منزلته عند الله و يحض بالحماية و الحفظ و الإكرام من الله سبحانه و تعالى و تقبل صلاته و عبادته.

–وفي حديث آخر:" عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه و سلم فيما روى عن الله تبارك و تعالى أنه قال: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل و النهار و أنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني و لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في حكمي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا

[1]- المرجع نفسه، ص46.

أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"[1]

و يتضمن هذا الحديث تشبيه تمثيلي في قوله (ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر) و هذا التصوير جاء به الله سبحانه و تعالى في موضعه لغرض الإفهام و قال النووي " المخيط: بكسر الميم و فتح الياء هو الإبرة قال العلماء هذا تقريب إلى الإفهام و معناه لا ينقص شيئا أصلا. لأن ما عند الله لا يدخله نقص، و إنما النقص الشيء المحدود الفاني.

فضرب المثل بالمخيط في البحر، لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة و عدم ظهور النقص من المأخوذ منه، فالمقصود التقريب إلى الإفهام بما شاهدوه، فإن البحر من أعظم المرئيات عيانا و أكبرها، و الإبرة من أصغر الموجودات صقيلة لا يتعلق بها الماء "[2]

و منه فهذا التمثيل يصور بدقة الفكرة المجرد و يجسدها من باب تشبيه المعقول بالمحسوس قصد تقريب المعنى و الفهم و منه زيادة في القوة الحجاجية لخطاب الله سبحانه و تعالى، و إقناع المتلقي بأن ما عند الله سبحانه و تعالى لا ينقص أبدا.

"فإن البحر إذا غمست فيه إبرة ثم أخرجت لم تنقص من البحر بذلك شيئا.

كذلك ملك الله و نعمه و عطاياه لا تنقص مهما أخذ منها لرحمته و كرمه و سعة عطائه فلا ينقص العطاء خزائنه" [3] .

[1]- أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص (462، 463)
[2]- محمد الإسكندراني، الأحاديث القدسية ، ص177، نقلا عن شرح النووي لصحيح مسلم، ج10، ص8، هامش القسطلاني.
[3] المرجع نفسه، ص177.

و يتبين مما سبق عرضه أن للتمثيل بعدا حجاجيا في الحديث القدسي و قد وظفه الله سبحانه و تعالى لتحقيق الإقناع فهو يمثل حجة استدلالية تستهدف المخاطب و تؤثر في نفسيته و هذا ما يضفي طاقة حجاجية للخطاب كما يصور الفكرة المجردة و يجسدها لتقريب المعنى و الفهم مما يزيد في القوة الحجاجية للحديث القدسي.

ج- الكناية :

تعد الكناية من الآليات البلاغية التي لها دور في الحجاج، "فهي وسيلة برهانية يستعملها المتكلم لإثبات معنى من المعاني، حيث لا يذكره باللفظ الذي وضع له بل يجيء بمعنى آخر، و يجعله دليلا عليه، و هو بهذا التصوير يريد أن يصل إلى مقصده من الخطاب و هو إقناع من يخاطبه فينقاد إلى أفكاره و آرائه و يعمل بها"[1]، وقد لجأ الله سبحانه و تعالى إلى استعمالها في خطابه و من أمثلتها:

-عن أنس بن مالك رضي الله عنه . قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" قال الله : يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك و لا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة "[2]

وفي هذا الحديث وردت كنايتان في قوله تعالى (عنان السماء) وقوله (قراب الأرض) وهما كنايتان عن صفة تفيدان العلو والكبر والكثرة وقد أراد الله سبحانه وتعالى بهذا التصوير توجيه المخاطب وحثه على التوبة والاستغفار، وقد بين النووي ذلك في شرحه للحديث:

[1] ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص288-291.
[2]- أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج3، ص 159.

(يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك) جوانب السماء في العلو و الكبر و الكثرة فملأت الفراغ بين السماء و الأرض ، (ثم استغفرتني) أي طلبت مني أن أغفرها لك، (ولا أبالي) من أحد يمنعني من ذلك، لأني أنا الفعال لما أشاء و أريد و قد وعدت بذلك فضلا مني ورحمة (يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا) أي أنك لو أتيتني يما يقرب قدر الأرض خطايا و ذنوبا، و كان معك التوحيد و لم تشرك بي شيئا لأتيتك ما يقارب قدر الأرض . أو ما يقارب قدر الخطايا و الذنوب كي تتلاشى تلك الذنوب أمام مغفرتي في الميزان، فلا يكون لك خطيئة تعذب عليها "[1]

و قد أمر الله سبحانه و تعالى في هذا الحديث بحسن الرجاء و التمسك بالتوحيد، فباب التوبة مفتوح مهما تعاظمت المعاصي، و منه فصيغتا الكناية الواردة في الحديث تحمل وظيفة حجاجية لأن الله سبحانه و تعالى أراد بهما إقناع المتلقي بأنه يغفر الذنوب جميعا مهما تعاظمت و كثرت لمن يتوب و يستغفر و بندم عن المعصية، و هنا تظهر بلاغة الحجاج بالكناية فقد وظفها الله في هذا التركيب ليوجه سلوك المتلقي إلى ما يريد عن طريق التلميح، فهو أبلغ من التصريح لأنه يضع المعنى في صورة محسوسة و هذا يضفي إلى الإقناع.

[1]- محمد الإسكندراني، الأحاديث القدسية، ص 59 نقلا عن النووي على مسلم ج4 ص 26 هامش القسطلاني.

–و في حديث آخر((خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ حِينَ خَلَقَهُ فَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُمْنَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً بَيْضَاءَ كَأَنَّهُمْ الذَّرُّ وَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُسْرَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً سَوْدَاءَ كَأَنَّهُمْ الْحُمَمُ فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَمِينِهِ إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي وَقَالَ لِلَّذِي فِي كَفِّهِ الْيُسْرَى إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي))[1]

نلاحظ في هذا الحديث كنايتان في قوله ﷺ (ذرية بيضاء) كناية عن أهل الجنة و(ذرية سوداء) كناية عن أهل النار وهما كنايتا ن عن موصوف، فضرب ورد في روايات أخرى بمعنى قبض ، قال الشيخ الألباني في سلسلته الصحيحة: " فإذا قبض الله قبضة فهي بعلمه وعدله وحكمته فهو تعالى قبض باليمن على من علم أنه سيطيعه حين يؤمر بطاعته ويستحيل على عدل الله تعالى أن يقبض باليمنى على من هو مستحق أن يكون من أهل القبضة الاخرى ثم إن كل من القبضتين ليس فيها إجبار لأصحابها أن يكونوا من أهل الجنة أو من أهل النار" [2].

ومنه فصيغتا الكناية الواردة في الحديث تحمل وظيفة حجاجية أراد بهما الرسول صلى الله عليه و سلم اقناع المتلقي بأن كل من الكفر والإيمان أمران اختياريان لايكرّه الله تبارك وتعالى أحدا من خلقه على واحد منهما" [3].

فالكفر ويستوجب العقاب و هو دخول النار و الإيمان و هو دخول الجنة.

[1] المرجع السابق، ص 139-140.
[2] المرجع نفسه، 142/1.
[3] المرجع نفسه، ص 142.

و منه فالكناية في هذا التركيب تعد حجة قوية توجه المتلقي و تدفعه إلى الإقتناع بما يرمي إليه الرسول ﷺ وهو "حكم من الله تبارك وتعالى عليه بما سيصدر منه من إيمان يستلزم الجنة أو كفر يقتضي النار"[1].

و نستنتج مما سبق أن الكناية تتميز بدور حجاجي في الحديث القدسي وذلك لأنها تعتبر وسيلة برهانية استعملها الله سبحانه و تعالى لإثبات حججه و إقناع المتلقي بمقصده من الخطاب و هو إقناع من يخاطبه فينقاد إلى آرائه و أفكاره فيعمل بها، لذا فهي تعتبر وسيلة من الوسائل الحجاجية.

هـ- البديع:

تتميز المحسنات البديعية "بالجمال و الموسيقى الجذابة و الممتعة، و هذا يحدث وقعا طيبا في النفس و تأثيرا بليغا يثبر العقل و يجعله يقتنع بما يعرض عليه، و بالإضافة إلى هذا فهي تدعم طاقة الخطاب الحجاجية و تزيد قدرته الإقناعية "[2] ، و قد قسم العلماء و البديع إلى قسمين محسنات معنوية و محسنات لفظية و من بين المحسنات المعنوية الواردة في الأحاديث القدسية نجد:

1- الطباق: "و هو الجمع بين الشيء و ضده في كلام واحد "[3]وقد ورد في الأحاديث القدسية في عدة نماذج من بينها:

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابي، جامع الأحاديث القدسية، 142/1.
[2] ينظر: عباس حشاني خطاب الحجاج والتداولية، ص296.
[3]- معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، دار جواد للأئمة، بيروت- لبنان، ط 1، 1433هـ- 2012م، ص 169.

"قال سعيد ابن المسيب: عن أبي قتادة بن ربيعة أخبره أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: قال الله عز وجل: افترضت على أمتك خمس صلوات و عهدت عندي عهدا أنه من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة، و من لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي"[1]

يتبين من هذا الحديث وجود محسن بديعي معنوي و هو طباق السلب في قوله تعالى (من حافظ ومن لم يحافظ) وقد ورد بين مثبت و منفي " فقد فرض الله سبحانه و تعالى على أمة محمد صلى الله عليه و سلم خمس صلوات وتعهد بأن من حافظ عليهن في وقتهن جازاه بدخول الجنة، و من لم يحافظ عليهن أي على الصلوات الخمس بأن ضيعها كلها أو بعضها، فلا عهد له عند الله في دخول الجنة"[2]

و هذا التضاد الذي وظفه الله سبحانه و تعالى في هذا الخطاب يبين مكانة الذي يحافظ على الصلاة عنده، و ذلك ليرفع قدره في قلب و عقل السامع المتلقي، ومنه فالطباق وسيلة للمحاججة أراد من خلاله الله سبحانه و تعالى في هذا الخطاب أن يصل بالمتلقي إلى الإقتناع بضرورة المحافظة على الصلوات الخمس في وقتها ليعلو شأنه عند الله عز و جل فيجازيه بدخول الجنة.

2- المقابلة: و هي " أن يؤتى بمعنيين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب"[3] أي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معاني متوافقة ثم ما يقابلها على الترتيب.

[1]- أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص 195.
[2]- محمد منير الدمشقي، النفحات السلفية، شرح الأحاديث القدسية على الإتحافات السنية للمناوي، ص 35.
[3]- معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 1969.

عن النبي صلى الله عليه و سلم قال :" قال الله تعالى: أنا الله خلقت العباد بعلمي، من أردت به خيرا منحته خلقا حسنا، و من أردت به سوءا منحته خلقا سيئا"[1]

ورد في هذا الحديث محسن بديعي معنوي وهي في قوله تعالى (من أردت به خيرا منحته خلقا حسنا، ومن أردت به سوءا منحته خلقا سيئا) و قد وظف الله سبحانه و تعالى هذه المقابلة من أجل توضيح المعنى و تأكيده في ذهن المتلقي و هو "أنه سبحانه وتعالى لا يخفى عن علمه شيئ في السماوات ولا في الأرض فمن أراد به خيرا من الناس و أعطاه خلقا سيئا فيستعمله بينه و بين مخلوقات الله فتصدر عنه المساوئ و النقائص و الأضرار بالناس فتجد غالب أفعاله و أكثر عمله في غير منفعة و ثمرة مفيدة"[2]

ومنه يتبين أن هذه المقابلة أضفت على الخطاب قيمة حجاجية من خلال توضيح المعنى و تأكيده و إقناع المتلقي و تنبيهه بحقيقة غائبة عن ذهنه وهي أن كل ما يحدث للإنسان من خير أو سوء هو بعلم و مشيئة الله سبحانه و تعالى لأنه لا يخفى عن علمه شيء في السماوات و لا في الأرض.

كما وردت عدة نماذج للمحسنات البديعية اللفظية في الأحاديث القدسية نجد من بينها:

1- الجناس: و هو " إتفاق الكلمتين في اللفظ، و اختلافهما في المعنى "[3] و قد ورد في الحديث القدسي كما يلي:

عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:

[1]- أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص 195.
[2]- محمد منير الدمشقي، النفحات السلفية، شرح الأحاديث القدسية على الإتحافات السنية للمناوي، ص 76.
[3] معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص174.

" قال الله عز وجل إن أمتك لا يزالون يقولون ما كذا؟ ما كذا؟ حتى يقولوا : هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله" [1]

و المعنى أن الله عز وجل "يخاطب نبيه و يخبره أن أمة محمد عليه الصلاة و السلام لا يزالون يسألون أنفسهم و يستفهمون و يكثرون من الأسئلة و يقولون ما كذا؟ ما كذا؟ أ ي ما الشيء الفلاني ؟ وما هذا الأمر؟ وما حقيقته ؟ و كيف هو ؟ و أي شيء هو؟ حتى يجرهم ذلك إلى أن يقولوا هذا الرب الخالق خلق الخلق و أوجد العالم على هذا النظام البديع فمن خلقه؟ و أوجده؟ " [2]

وقد توفر في هذا الحديث محسن بديعي لفظي و هو الجناس و يتمثل في قوله عز وجل (خلق الخلق) و هو جناس تام لأن اللفظتان و ردتا متفقتان في عدد الحروف و هيئتها و صفاتها و اختلفت في المعنى (فخلق) بمعنى أن الله هو الخالق و (الخلق) بمعنى مخلوقات الله، و منه فهذا المحسن البديعي اللفظي منح الخطاب طاقة حجاجية تسهم في إقناع المتلقي بوجود هذه القضية و التي تتمثل في كثرة السؤال و " قد حذر الله سبحانه و تعالى المتلقي من كثرة السؤال لأن ذلك من وساوس الشيطان ليوقع الإنسان في الحيرة، و يورث الشك في العقيدة و ضعف الإيمان مما يؤدي إلى الشرك بالله سبحانه و تعالى"[3].

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص 112.
[2]- محمد منير الدمشقي، النفحات السلفية، شرح الأحاديث القدسية، على الإتحافات السنية للمناوي، ص 299.
[3] ينظر: المرجع السابق، ص 299.

2- السجع: و هو " تواطئ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، فالسجعة في النثر كالقافية في الشعر "[1] و قد ورد السجع في الأحاديث القدسية في عدة نماذج من بينها :

((عن البيهقي عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : قال رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ ، يَقُولُ : " يَا ابْنَ آدَمَ ، أَوْدِعْ مِنْ كَنْزِكَ عِنْدِي وَلا حَرَقَ ، وَلا غَرَقَ ، وَلا سَرَقَ أُوفِيكَهُ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ))[2].

ورد في هذا الحديث محسن بديعي لفظي هو السجع و ذلك في قوله عز و جل (حرق) و (غرق) و (سرق) باتفاق الفواصل في نفس القافية و الوزن حيث جاءت كلها على وزن (فعل) فهو سجع مرصع، فالمحسن البديعي أدى وظيفة حجاجية أراد بها الله عز وجل توجيه المتلقي و حثه على الصدقة فقوله "(أودع من كنزك) أي تصدق من مالك الذي تدخره يكن لك جزاؤه وديعة عند الله تستوفيها يوم القيامة حيث الحاجة إلى ثواب الله شديدة، و قوله (و لا حرق و لا غرق و لا سرق) أي لا تخشى على مالك أن تأكله الحريق أو يغرق في الماء أو يسرقه الناس فهو باق محفوظ"[3].

و منه فهذا المحسن البديعي قد أكسب الخطاب شحنة حجاجية، و بهذا يكون أكثر تأثرا و أشد وقعا في وجدان المتلقي، و نكمن حجاجية السجع في اتفاق فواصله في الحرف الأخير و هذا ما يجعله أكثر بلاغة و أكثر جمالا، فقد استعمله الله جل و علا لزيادة إقناع المتلقين المسلمين بضرورة الصدقة لأنها من أجل الطاعات التي تقرب المؤمن من الله عز

[1]- معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 175.
[2]- أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص 267.
[3]- المرجع نفسه، ص 267-268.

وجل فالمال الذي يتصدق به المؤمن يبقى أمانة محفوظة عند الله لينال به الجزاء يوم القيامة و هو مضاعفة الأجر و الثواب.

كما نجد بعض الأحاديث القدسية التي تجمع بين المحسنات المعنوية و اللفظية من بينها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال :

" إن الرحم شجنة من الرحمان فقال لله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته "[1]

و يحتوي هذا الحديث على طباق الإيجاب وذلك بين (وصلك، قطعك) و مقابلة بين (من وصلك وصلته، من قطعك قطعته)، كما يحتوي أيضا على السجع في قوله (وصلته، قطعته) فهذه المحسنات اتخذها الله جل و علا في خطابه كآلية لإقناع المتلقين المسلمين بأنه "يجب وصل صلة الرحم وذلك بالتوادد و التناصح و العدل و القيام بالحقوق الواجبة و المستحبة، و إقناعهم كذلك بأن القاطع لها منقطع من رحمة الله" [2]

و قد أدت هذه المحسنات البديعية وظيفة حجاجية من خلال إقناع المتلقي بضرورة المحافظة على صلة الرحم لينال الجزاء من الله جل و علا و هو زيادة الرزق و الدخول في حفظ الله و كرمه و توثيق الصلة بين العبد و ربه، و المحسنات البديعية تتعدى الوظيفة الإقناعية إلى وظيفة أخرى هي الوظيفة الجمالية و الموسيقية الجذابة و الممتعة التي تحدث تأثيرا كبيرا في المتلقي فتؤدي إلى إقناعه و دحضه.

[1]- المرجع نفسه، ج5، ص10.
[2]- أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج10، ص 406.

و يتبين مما سبق عرضه أن للبديع دور حجاجي في الحديث القدسي فقد أسهم بشكل كبير في تبليغ الرسالة، و دعم طاقة الخطاب الحجاجية و زيادة قدرته الإقناعية ، و للمحسنات البديعية طاقة حجاجية تسهم في إقناع المتلقي بمقصدية الخطاب الموجه إليه.

3- الآليات الشبه المنطقية :

لقد سبقت الإشارة في الفصل النظري إلى أن هذه الآليات يجسدها السلم الحجاجي بوسائله المتمثلة في الأدوات اللغوية والآليات شبه المنطقية ، المنسوبة لـ : آوزوالد ديكرو من خلال مؤلفه السلالم الحجاجية ، ونظرية السلالم الحجاجية " تنطلق من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة (ق) ونتيجته(ن) ومعنى التلازم هنا هو أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة إلى المتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة ، مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرح بها وقد تبقى ضمنية "[1] وقد تجسدت هذه النظرية في خطاب الله عز وجل على لسان نبيه ﷺ في الأحاديث القدسية كما سيوضحه التحليل اللغوي الآتي :

السلم الحجاجي ووسائله :

1- الأدوات اللغوية : وقد وردت بشكل كبير في خطاب الله عز وجل كونها تعد من أنجع الوسائل الحجاجية التي تحقق الإقناع والتصديق بما جاء فيه ، وبناء على هذا يمكن رصد أهم هذه الأدوات اللغوية فيما يلي :

[1] – شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة ، نقلا عن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إعداد فريق البحث في البلاغة والحجاج ، إشراف حمادي صمود ، ص 363.

أ- **الروابط الحجاجية** : وهي" كثيرة في اللغة العربية شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى"[1] وقد ورد منها الكثير في الأحاديث القدسية لكننا سنقتصر على دراسة أهم رابط حجاجي منها وهو حرف العطف الواو فهو من أقوى الروابط الحجاجية التي تخدم الخطاب وتسعى إلى تنسيقه وترابطه من جهة " وتوجيه مقاصده إلى المتلقي من جهة أخرى .

- **حرف العطف الواو** : تتميز الواو " بجمعها بين ملافظ مشتركة في الحكم وهذا الكلام يرجعنا إلى تعريف القسم الحجاجي ومقولة اشتراك الحجج الموصلة إلى حكم واحد ألا وهو النتيجة " .[2] ومنه نستنتج أن الواو تقع بين الحجج لتربطها ببعضها البعض ، وتساند كل حجة منها الأخرى ، وهذا يكسب الخطاب طاقة وقدرة حجاجية تدعم النتيجة ، وهذا ما لمسناه في الخطابات القدسية التالية :

{ عن أبي راقد الليثي قال : كنا نأتي النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه فيحدثنا فقال لنا ذات يوم : «إن الله عز وجل قال : إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . ولو كان لإبن آدم واد لأحب أن يكون إليه ثان ، ولو كان له واديان لأحب أن يكون إليهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ثم يتوب الله على من تاب }[3]

[1]- أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، ص 55.

[2]- عز الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، ص 153.

[3] - أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي ، جامع الأحاديث القدسية ، ج 1 ، ص 275.

وكما هو ملاحظ من الحديث أن الله عز وجل استعمل هذه الحجج ليؤكد " ويحدد وظيفة المال في الأرض وأنه ليس للهو والعبث ولا للجمع والمنع ، وإنما أنزله الله ليكون عونا لعباد الله في عبادة الله يقيمون به صلاتهم ويؤدون منه زكاتهم ".[1]

وقد رتب الله عز وجل هذه الحجج ترتيبا منطقيا بواسطة الرابط الحجاجي الواو كما في السلم التالي:

ن : المال وجد وسيلة للطاعات

ح إيتاء الزكاة

ح إقام الصلاة

منه فإن حرف العطف (الواو) ربط بين الحجج المفضية إلى نتيجة واحدة وهي أن الله أعطى المال لعباده ليكون عونا لهم على طاعته يقيمون به صلاتهم ويؤتون به زكاتهم فهو وسيلة للطاعات وليس غاية ، فلا يجعل الإنسان كل همه في جمع المال.

كما أورد الله عز وجل وعلا حججا أخرى في هذا الحديث ليؤكد طمع الإنسان وعدم استغنائه عن المال " فالإنسان – إلا من عافاه الله– يأخذه الطمع ويستبد به الشره فلا يقنع بما حصل ولا يستغني بما رزق ولا يعطي من مال الله الذي أتاه " [2] وقد رتب هذه الحجج بواسطة الرابط الحجاجي (الواو) كما في السلم التالي :

ن : طمع الإنسان وعدم قناعته بما أعطاه الله

[1]– المرجع نفسه ص 275.

[2]– المرجع نفسه ص 275.

ح3 ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب

ح2 ولو كان له واديان لأحب ان يكون له ثالث

ح1 لو كان الإبن آدم واد لأحب أن يكون له ثان

ومنه فإن حرف العطف (الواو) ربط بين الحجج المؤدية إلى نتيجة (ن) وهي أن الإنسان طماع بطبعه ولا يقنع بما أعطاه الله من مال ، فلا يشبع أبدا ويجعل همه في جمع المال حتى يأتي أجله ويدفن في التراب ، والدليل على ذلك الحجة الأقرب إلى رأس السلم الحجاجي وإلى النتيجة (ن) وبهذا نجد أن هذا الرابط

(الواو) يقوي الحجة تلو الأخرى وهذا يزيد من إثبات المعنى العام لخطاب الله عز وجل المتمثل في النتيجة (ن)

وفي حديث آخر : عن أنس بن مالك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «قال الله غز وجل : إذا تقرب عبدي مني شبرا تقربت منه ذراعا ، وإذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعًا – أو بُوعًا – وإذا أتاني يمشي أتيتُهُ هَرْوَلَةً » [1]

نلاحظ في هذا الخطاب رابطا حجاجيا قام بالوصل بين الحجج وترتيبها لدعم وتقوية النتيجة – أي القضية المطروحة – وهي الإيمان بالله والإقبال على حب الارتباط به " فالله جل وعلا يمهد الطريق لطاعته ، ويذلل السبيل لعبادته فإذا أذنب العبد منحه الله الفرصة ، ودعاه إلى الإنابة والعودة ، وإذا تقرب العبد من الله تقرب الله منه ، وإذا تاب إلى الله تاب الله

[1]– أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي ، جامع الأحاديث القدسية ج 3 ، ص 148.

عليه ، والله عز وجل أسرع إلى عبده بالمغفرة من عبده إليه بالتوبة حقا وهذا من رحمة الله بخلقه عز وجل وكريم لطفه وبره بعباده " [1]، فتساند الحجج في هذا الحديث يدل على أنه جل وعلا بنى خطابه بناء حجاجيا ، قصد إقناع المخاطب أو المتلقي بهذه النتيجة وتسليمه بها ، ومنها تطبيقه لما دعا إليه ، ويمكن أن نمثل لهذا كله بالسلم الحجاجي التالي :

ن : الإيمان بالله والإقبال على حب الإرتباط به

ح 3 وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة

ح 2 وإذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا .

ح 1 إذا تقرب مني عبدي شبرا تقربت منه ذراعا .

ومنه يتبين لنا أن الحجج جاءت متسلسلة ومترابطة بحرف (الواو) لتؤكد وتثبت النتيجة قصد إقناع المتلقي بها .

كما ورد الرابط الحجاجي (الواو) في حديث قدسي آخر :

{عن أبي هريرة رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ ، قَالَ : فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، قَالَ : فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قَالُوا : يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ ، وَيُمَجِّدُونَكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ :

[1] ينظر: المرجع السابق، ص 151.

وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا ، وَتَحْمِيدًا ، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا.. }¡Error! Marcador no definido.[1]

احتوى هذا الحديث على حجج متسقة مترابطة بواسطة الرابط الحجاجي (الواو) ، حيث أن كل حجة تساند وتقوي الحجة الأخرى لتحيق النتيجة التي يرمي الرسول ﷺ إلى توضيحها وتبيينها في هذا الحديث القدسي كي يقنع بها المتلقي وهي فضل مجالس الذكر عند الله عز وجل فالمراد بمجالس الذكر تلك التي يتلى فيها كتاب الله عز وجل ويتدارس وتعدد فيها آلاء الله ويثنى عليه فيها بما هو أهله ويذكر فيها وعد الله ووعيده وأسماؤه وصفاته " 2[2] فيتحقق فضل مجالس الذكر عند الله جل وعلا يستدعي العمل بالحجج المتساوقة والمتساندة حجاجيا التي أدرجها الرسول ﷺ في هذا الخطاب القدسي ويمكن التمثيل لهذا الحديث بالسلم الحجاجي التالي :

ن : فضل مجالس الذكر

ح 4 ويمجدونك

ح 3 ويحمدونك

ح 2 ويكبرونك

ح 1 يسبحونك

[1] – أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي ، جامع الأحاديث القدسية ج3 ، ص 07 .

[2] – المرجع نفسه ص 20.

فكما هو ملاحظ أن كل حجة هي بمثابة دليل وبرهان على النتيجة المدرجة ، وأن (الواو) قد عملت على ترابط وتماسك الحجج التي تسير في اتجاه حجاجي واحد وهو النتيجة(ن).

ويتبين مما سبق عرضه أن لحرف العطف (الواو) وظيفة حجاجية في الحديث القدسي فهي لم تقتصر عللى الربط بين الحجج بل تتعدى ذلك إلى اشتراك الحجة الثانية في حكم الحجة الأولى أي تساند كل حجة منها الأخرى ، وهذا ما اكسب الخطاب القدسي طاقة وقدرة حجاجية تدعم النتيجة .

ب- درجات التوكيد : يعتبر أسلوب التوكيد من أبرز الأساليب الحجاجية التي اعتمد عليها الله عز وجل في الأحاديث القدسية على لسان نبيه ﷺ في عرض قضاياه ، ومن بين الأحاديث التي نلمس فيها الوجه الحجاجي الذي يمثله أسلوب التوكيد نجد ما يلي :

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ }[1]

وقد وظف الرسول ﷺ علاقة التوكيد في هذا الخطاب من خلال علاقة الحجتين بعضهما ببعض فالحجة الأولى خبر ابتدائي في قوله (إذا أحب الله العبد نادى جبريل) والثاني حبر طلبي في قوله:

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي ، جامع الأحاديث القدسية ج5 ، ص 373.

(إن الله يحب فلانا) وقد أكد هذا الخبر قضية مهمة وأساسية في هذا الحديث وهي محبة الإنسان لله " فحب الله لعبده يتوقف على ان يعرف العبد نعمته سبحانه في التكليف ، وما دمت أنت قد عبرت عن صدق عواطفك بحبك الله ، فلا بد أن يحبك الله ، وكل منا يعرف أن حبك لله لا يقدم ولا يؤخر ، لكن حب الله لك يقدم ويؤخر "[1]

وهذا يدعو إلى أن نعمل على أساس أن يكون حبنا لله تعالى فوق كل حب ، وأن محبة الإنسان لخلق الله تكون من خلال حبه لله عز وجل ، ومنه فالحديث يحث المتلقي على الامتثال لأوامر الله عز وجل واجتناب نواهيه ليكسب محبته ورضاه . ومن هذا كله يمكن أن نمثل لهذا الحديث بالسلم الحجاجي التالي :

ن : محبة الإنسان لله عز وجل

ح 2 خبر طلبي ح2 إن الله يحب فلانا

ح 1 خبر ابتدائي ح1 إذا أحب الله العبد نادى جبريل

فالخبر الابتدائي يمثل حجة أولى وقد وقع في قاعدة السلم لأن حجته ضعيفة بالنسبة للحجة الثانية التي يمثلها الخبر الطلبي ، فالحجة الثانية أقوى لأنها احتوت على المؤكد

[1] محمد متولي الشعراوي ، الأحاديث القدسية ، مج 2 ، ص 376.

(إن) وكلتا الحجتين تخدمان نتيجة ضمنية واحدة مفادها محبة الإنسان لله عز وجل ، ومنه فالتوكيد قد عمل على تدعيم الحجة ليفضي إلى الإقناع بالنتيجة (ن) ، ومنه نصل إلى هدف الحجاج وهو تحقيق الإقناع .

ونستنتج مما سبق عرضه ان للأدوات اللغوية وظيفة حجاجية قوية في الحديث القدسي ، وقد وظفها الله عز وجل لإقناع المتلقي بصحة القضايا التي يعرضها وإثباتها والتأكيد عليها بالحجج المنطقية المرتبة والمتسلسلة في السلم الحجاجي .

2/ آليات السلم الحجاجي الشبه المنطقية :

أ- **التعدية** : وتتمثل في :

أ- **1 – أفعال التفضيل** : تستعمل هذه الآلية في الخطاب من أجل إثبات فكرة أو قضية ما ، فهي وسيلة ترتب الأفكار ترتيبا معنيا ، مما يساعد المخاطب على توصيل القصد من خطابه إلى ذهن المتلقي لكي يقتنع ، وقد وردت هذه الآلية في الأحاديث القدسية في عدة مواضع نجد من بينها :

{ عن هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَجْهَلْ وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ – مَرَّتَيْنِ – وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي . الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا }[1]

نلاحظ في هذا الحديث أن كلمة (أطيب) وهو فعل تفضيل مجرد من ال والاضافة على وزن (أفعل) وعملت على تقوية الحجة وإثباتها حيث جاءت لتفاضل بين شيئين إثنين : (رائحة فم الصائم المتغيرة بسبب الصيام ، ورائحة المسك) ، اشتراكا في صفة الرائحة الطيبة وزاد أحدهما على الآخر وهو فم الصائم ، وقد وظف الرسول ﷺ هذه الصيغة في خطابه من أجل إقناع المتلقين المسلمين بأن الصائم " ينال من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك ، أي أن الله تعالى يجزيه في الآخرة فتكون نكهته أطيب من ريح المسك " [2]

ومنه فهذا كله يجعلنا نصنف عبارة (رائحة فم الصائم) في أعلى السلم بوصفها الحجة الأقوى التي " كان الاحتجاج بها عن طريق التعدي وهذا ما يسميه طه عبد الرحمان بقاعدة تعدي التفاضل "[3]

وهي من أهم طرق الحجاج التي تؤدي إلى الإقناع .

ويمكن أن نمثل لهذا الحديث بالسلم الحجاجي التالي :

[1] – أبو عبد الرحمان عصام الدين الصباطي ، جامع الأحاديث القدسية ج 1 ، ص (313 ، 314)

[2] – أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني ، فتح البراي بشرح صحيح البخاري ، ج 4 ، ص 106.

[3] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص 528.

ن : الصائم ينال من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك

ح 2 رائحة فم الصائم

ح1 رائحة المسك

ومنه يتبين أن الحجتان مرئيتان ومترابطتان بفعل التفضيل (أطيب) لتؤكد وتثبت النتيجة (ن) قصد إقناع المتلقي بها .

- **وفي حديث آخر : { عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إِنَ الله عَز وجَلَ يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ إِنْ تُعْطِ ٱلْفَضْلَ فَهُوَ خَيْرُ لَكَ ، وَإِنْ تُمْسِكْهُ فَهُوَ شَرٌ لَكَ وَابْدَأَ بِمَنْ تَعُولُ وَلَا يَلوُمُ الله عَلَى الكَفَافِ ، وَاليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُفْلَى }**[1]

نجد في هذا الحديث كلمة (خير) بمعنى أفضل تعتبر من أفعال التفضيل إذ عملت على تقوية الحجة وإثباتها وهي تعظيم أمر الصدقة فاليد هنا جاءت للتغليب فالعطاء لا يكون دائما باليد ولكن في الأغلب يكون باليد ، (فاليد العليا) هي كناية عن الغني الذي يسمو ببذل الفضل والعطاء (واليد السفلى) كناية عن الفقير الذي يسأل الناس أعطوه أو منعوه " إذ لا يشجع الإسلام الفقراء على البطالة وانتظار العطاء من الميسورين وإنما يدفع الغني إلى السمو ببذل الفضل والفقير إلى القناعة والتعفف بكراهية السؤال والتطلع إلى النوال " [2]

[1]– أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي ، جامع الأحاديث القدسية ج 1 ، ص 259.

[2]– المرجع نفسه ، ص261.

ومنه يتبين لنا أن هذه الصيغة أضفت على خطاب الله عز وجل طاقة حجاجية من شأنها أن تسهم في إقناع المتلقي بقصده ألتبليغي من الخطاب ، بالإضافة إلى هذا فإن هذه الصيغة تمكننا من تصنيف عبارة (اليد العليا – التي بمعنى المسلم الذي يسمو ببذل الفضل والعطاء–) في أعلى السلم الحجاجي .

ونمثل لهذا الحديث بالسلم الحجاجي التالي :

ن : اليد العليا خير من اليد السفلى

ح 2 اليد العليا

ح 1 اليد السفلى

ومنه فالحجتان مرتبتان ومترابطتان بفعل التفضيل (خير) حيث تهدفان إلى تحقيق طاقة حجاجية أسهمت في تحقيق النتيجة (ن) لإقناع المتلقي بها .

ويتبين مما سبق عرضه أن أفعال التفضيل تساهم بطاقة حجاجية كبيرة في الحديث القدسي حيث يكون الاحتجاج بها عن طريق التعدي من أجل إثبات قضية معينة في السلم الحجاجي ، وقد وظفها الله عز وجل في خطابه لكونها من أهم طرق الحجاج التي تؤدي إلى الإقناع .

أ – 2 – صيغ المبالغة :

تلعب صيغ المبالغة دورا فعالا في استخلاص نتيجة معينة من الخطاب ، بالإضافة إلى هذا فهي توجه القول إلى أعلى مراتب السلم الحجاجي ، ومن بين النماذج التي تتضمن هذه الصيغ في الحديث القدسي نجد ما يلي :

قال الغزالي في الإحياء : عن ابن عبد البر عن الرسول ﷺ : قال :«أَوْحَى اللهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ: يَا إِبْرَاهِيمُ إِنِي عَلِيمٌ أُحِبُ كُلَ عَلِيمٍ »[1]

يتضمن هذا الحديث صيغتي مبالغة في قوله تعالى (عَلِيمٌ) و (عَلِيمٍ) والعليم مبالغة في عالم أي كثير العلم " فعليمٌ الأولى هي صفة لله غز وجل الذي لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه قاصية ولا دانية ، أما عليمٍ الثانية فهي صفة للإنسان كثير العلم . "[2]

وقد وردت هاتان الصيغتان على وزن (فعيل) ، وقد ساهمتا في ترتيب أفكار الخطاب القدسي ومنحتاه طاقة حجاجية مضافة تساعد على بلوغ الغاية المنشودة وهي إقناع المتلقي بفضل العلم وشرفه عند الله عز وجل وقد جسد ذلك في قوله " يا إبراهيم إني عليم أعلم وأحيط بكل شيء علما لا يعزب عن علمي مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض ، أحب كل عليم أي كثير العلم لأن الشخص كلما كثر علمه ازدادت معلوماته وفاق غيره علما وفضلا ومكانة إلا أن علم الله جل ذاته مخالف لعلوم المحدثات من وجود عدة أحدهما : أنه بالعلم الواحد يعلم جميع المعلومات بخلاف العبد ، ثانيهما أن علمه تعالى لا يتغير بتغير

[1]– أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي ، جامع الأحاديث القدسية ، ج 6 ، ص 363.

[2]– ينظر محمد منير الدمشقي ، النفحات السلفية ، شرح الأحاديث القدسية على الإتحافات السنية للمناوي ، ص 381.

المعلومات بخلاف الحادث ، ثالثهما : أن علم الله سبحانه وتعالى غير مستفاد من الحواس ولا من الفكر بخلاف العبد ، رابعا : أن علمه تعالى ضروري الثبوت ممتنع الزوال وعلم العبد جائز الزوال ، خامسا : أن الحق سبحانه وتعالى لا يشغله علم عن علم بخلاف العبد ، سادسا أن معلومات الحق تعالى غير متناهية بخلاف العبد "[1] ومنه يتضح أن العبد كلما ازداد علما ازداد عند الله حبا ، ومهما كثر علم الإنسان فلا يمكن أن يقارن بعلم الله عز وجل الذي لا حدود له ، ويمكن أن نمثل لهذا الحديث بالسلم الحجاجي التالي :

ن: فضل العلم وشرفه عند الله عز وجل

ح2 أحب كل عليمٍ

ح1 إني عليمٌ

ومنه فكل صيغة من هذه الصيغ تعتبر حجة قوية ترتقي إلى أعلى السلم الحجاجي وبالتالي تحقق إقناعا أقوى وتأثيرا أكبر في المتلقي لتثبت النتيجة (ن).

ب- حجة الدليل: أو ما يعرف بالشاهد "يعتبر دعامة كبرى من دعائم الخطابة مما يحققه من إقناع و تأثير .

وتكمن غايته في توضيح القاعدة ، ولعل الاستشهاد بالقرآن الكريم من الأدلة القاطعة التي تؤدي إلى نتيجة مثبتة"[2]

[1]- المرجع نفسه ص 381.

[2] - عزيز لدية ، نظرية الحجاج ، ص 69.

فحجة الدليل من الآليات الحجاجية التي يعمد إليها المتكلم من أجل تقوية القضية التي يعرضها أو الفكرة التي يريد إيضاحها، و هذا يزيد من صدق كلامه مما يمنحه قوة حجاجية بالغة التأثير على المتلقي، و قد لجأ الله جل وعلا إليها في خطابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث قدسية نجد من بينها:

" **عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي** ﷺ برواية مسلم

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْرًا بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) السجدة/17 [1]

نلاحظ في هذا الحديث أن الرسول ﷺ استشهد بحجة ذات قيمة سلطوية على المتخاطبين من أجل إقناعهم بأن "عباد الله الصالحين من أعظم أهل الجنة منزلة ، فقد قال عنهم غرست كرامتهم بيدي و ختمت عليها ، فلا عين رأت ولا اذن سمعت ،ولا خطر على بشر ، ولكي يؤكد كلامه هذا ويصبح أكثر حجية ، وأكثر فعالية ، قال ومصداق ذلك في كتاب الله "[2] « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » [3]

ومنه يتضح أن الرسول ﷺ هذا الشاهد من أجل تحقيق القصدية وتثبيت النتيجة وحمل المخاطب على القبول والإذعان لها ومن ثم تتحقق الوظيفة الإقناعية الحجاجية .

[1] – أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي ، جامع الأحاديث القدسية ، ج 4 ، ص 523.
[2] – أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج 8 ، ص 516.
[3] – السجدة الآية 17.

-كما نجد نموذج آخر لحجة الدليل في الأحاديث القدسية : " عن أبي هريرة رضي الله عنه . عن النبي ﷺ : يقول الله تعالى : إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لاَ يَقْطَعُهَا وَاقْرَؤوا إِنْ شِئْتُمْ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ » [1]

وفي هذا الخطاب يصف الرسول ﷺ الجنة بغية إقناع المتلقي بأنها يوجد شجرة في الجنة " أي راكب فرضا يسير في نعيمها وراحتها مئة عام" [2] وقد استشهد بآية قرآنية «وَ ظِلٍ مَمْدُودٍ » الواقعة الآية 30. ساقها في آخر كلامه ، تؤكد للمتلقي صدق ما يصفه ، فهي أقوى حجة وأكبر دليل قاطع يبين به حال الجنة " فالظل الممدود شجرة في الجنة على مساق قدر ما يسير الراكب في ظلها مائة عام من كل نواحيها " [3]

ومنه فإن استشهاد الرسول ﷺ بالمصدر الأول للتشريع يجعل حجته ترقى إلى أعلى السلم الحجاجي وبالتالي تحقيق إقناع أقوى وتأثير أكبر في المتلقي .

ويتبين مما سبق عرضه أن حجة الدليل تتميز بقوة حجاجية بالغة التأثير في المتلقي وقد وظفها الرسول ﷺ في الحديث القدسي لإقناع المتلقي بقوة القضايا التي يعرضها من خلال استشهاده بالمصدر الأول لتشريع وهو القرآن الكريم والذي يعتبر من الأدلة القاطعة التي تؤدي إلى نتيجة مثبتة .

[1] أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي ، جامع الأحاديث القدسية ، ج 4 ، ص 520.
[2] أحمد ابن على بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج6، ص 326.
[3] احمد ابن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج6 ، ص 327.

خاتمة

خاتمة:

و بعد هذا الجهد المتواضع الذي حاولنا فيه بحث الجوانب المختلفة لموضوع "الحجاج في الأحاديث القدسية" إذ يعد الحجاج من مقومات عملية الإقناع و التأثير، و لا سيما إذا ورد من خير الأنام سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم فيما رواه عن ربه عز وجل و هذا ما وقفنا عليه من خلال دراستنا لهذا الموضوع، و يمكن إجمال النتائج المتوصل إليها فيما يلي:

1. الحجاج هو علاقة تخاطبية بين متكلم و مستمع حول قضية ما، و يقوم على سلسلة من الحجج المنطقية و العقلية التي تتحقق في سياقات لغوية مختلفة و هدفها التأثير و الإقناع.
2. الحجاج نظرية أساسية في اللسانيات التداولية، فالحجاج لم يكن وليد العصر الحديث أو القضايا الجديدة بل جذوره كانت ضاربة منذ القدم و ما يدل على ذلك أعلام الفكر الغربي من السفسطائيين إلى أرسطو و أعلام البلاغة العربية القديمة (الجاحظ، السكاكي)، كما ورد الحجاج بمختلف صوره و معانيه في القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف.
3. الحجاج نظرية غربية حديثة تشمل جانبين، جانب تداولي ظهر مع أعمال أوزوالد "ديكرو و جان أنسكومبر"، و قد تطرق كل منهما للحجاج في اللغة و شعارهما في ذلك أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، و جانب بلاغي ظهر مع أعمال "بيرلمان و

تيتيكا" و قد تطرق كل منهما إلى "البلاغة الجديدة" التي تهدف إلى التأثير في النفوس و استمالتها و حملها إلى الإذعان.

4. للعرب المحدثين اسهامات كبيرة في ترجمة هذه النظرية و صياغتها في أحسن صورة قابلة للدراسة، من أبرزهم طه عبد الرحمان، أبو بكر العزاوي و محمد العمري.
5. تقارب الأهداف بين البلاغة العربية و البلاغة الجديدة، فالبلاغة العربية هدفها الإفهام و التأثير، و البلاغة الجديدة (بيرلمان، تيتيكا) هدفها التأثير في النفوس و استمالتها و حملها على الإذعان.
6. الخطاب الحجاجي ينبني على العلاقة التخاطبية بين المرسل و المرسل إليه و هذه العلاقة تبنى على ثلاثة أصناف للحجاج و هي الحجاجي التجريدي و الحجاج التوجيهي و الحجاج التقويمي.
7. تتحكم في النص الحجاجي عدة ضوابط ينفرد بها عن غيره من النصوص يستطيع من خلالها المحاجج تحقيق الوظيفة التواصلية.
8. تميز النص الحجاجي بعدة خصائص من بينها ما قام بتحديده "بنوار رونو" و تتمثل في القصد المعلن، المتناغم، الاستدلال، البرهنة.
9. للحجاج علاقة مباشرة بالتداولية وقد اتضح ذلك من خلال العديد من الدراسات، أهمها "نظرية أفعال الكلام" لأوستن و سيرل التي عرفت اهتماما كبيرا بالأفعال اللغوية عامة و الفعل الحجاجي خاصة، و نظرية الحجاج في اللغة "لديكرو" الذي أقر بأن اللغة تؤدي وظيفة حجاجية.

10. يعتبر الحجاج ملتقى العلوم إذ لا يتم إلا بتبني وسائل و آليات مستمدة من حقول معرفية متنوعة كاللغة و البلاغة و المنطق...

11. يعتمد الخطاب الحجاجي على تقنيات و وسائل خاصة تتمثل في الآليات اللغوية و الآليات البلاغية و الآليات الشبه منطقية إذ تمثل اللبنة الأساسية لتحقيق الإقناع و التأثير.

12. من خلال الدراسة التطبيقية يتبين الدور الكبير للحجاج في بناء الخطاب القدسي إذ يعتبر من أهم السبل التي تؤدي إلى الإقناع و التأثير.

13. الحديث القدسي منظومة لغوية محكمة و متميزة عن الخطابات الشرعية الأخرى: القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف.

14. الحديث القدسي خطاب شرعي مرتبط عضويا بالقرآن الكريم و الحديث النبوي، لكنه يفصل قضايا العقيدة أكثر من قضايا الأحكام.

15. الحديث القدسي من حيث صيغه نوعين: الأولى: اسناد المتن إلى الله تبارك و تعالى باللفظ الصريح، و الثانية: عدم التصريح بنسب الحديث إلى الله عز وجل باللفظ الصريح و يعرف بها الحديث القدسي عن طريق المعنى و الاستدلال.

16. يظهر من الدراسة التطبيقية وجود معظم آليات الحجاج في الحديث القدسي، إذ نجد أحيانا أن الحديث الواحد يحتوي على أكثر من آلية. و هذا يدل على الطاقة الحجاجية الكبيرة للحديث القدسي.

17. تضمن الخطاب القدسي الحجاجي البعد التداولي، و ذلك من خلال أفعال الكلام اللغوية، الحوار، السياق المقامي، الوظيفة التواصلية الإقناعية.

18. وجود نسبة حضور كبيرة للأفعال اللغوية في الخطاب القدسي أكسبته حركية و حيوية عملت على زيادة طاقته الحجاجية، و بالتالي زيادة في قدرته على الإقناع، و قد لمسنا هذا في الأفعال التوجيهية الإنجازية خاصة فعل الأمر، كونه الأنسب لتوجيه المخاطبين إلى ما جاء به الإسلام.

19. يشتمل الوصف عددا من الأدوات اللغوية تتميز بدور إقناعي حجاجي في الحديث القدسي و نجد من بينها الصفة و اسم الفاعل و اسم المفعول.

20. للتكرار وظيفة حجاجية في الحديث القدسي و ذلك لكونه يؤكد ويرسخ المعنى في ذهن المتلقي.

21. البلاغة ذات صلة وطيدة بالحجاج و الإقناع و هذا ما كشفت عنه مختلف الآليات البلاغية فالصور البيانية تضطلع بدور حجاجي يكمن في تقريبها للمعنى البعيد و إظهاره في أجمل صورة تستميل النفوس بالإضافة إلى هذا تعمل على تشخيص المعنى المقصود في صورة محسوسة يتفاعل معها المتلقي، كونها أقرب للقبول و أدعى للتأثير، أما البديع فقد ساهم في سمو النزعة الجمالية في خطاب الله عز وجل، و ذلك بإثارة النفوس و كسب العقول، لقدرته على إفادة المعنى و الدلالة على المقاصد و منه التأثير في المتلقي و إقناعه و تحريك مشاعره و انفعالاته.

22. تجسدت نظرية السلالم الحجاجية بوسائلها المختلفة في الحديث القدسي و المتمثلة في الأدوات اللغوية و الآليات شبه المنطقية.

23. للأدوات اللغوية دور في الحجاج و قد وردت بشكل كبير في الحديث القدسي كونها تعد من أنجع الوسائل الحجاجية التي تحقق الإقناع و التصديق بما جاء فيه، من أهمها: الروابط الحجاجية، درجات التوكيد.

24. استعمل الله عز وجل في خطابه دلائل عقلية و منطقية لإثبات الحجة و البرهان على القضية المطروحة مثل: حجج التعدية و حجة الدليل.

25. يعد أسلوب الخطاب القدسي هو الأمثل في التأثير و الإقناع، فهو من أنجع الأساليب التي تساهم في الإقناع المنطقي، و التحفيز النفسي و التوجيه الديني للمتلقي و استمالته ودفعه إلى تغيير المعتقدات و السلوكات الخاطئة و ذلك بالنصح و الإرشاد و الترغيب و الترهيب، إذن فنص الحديث القدسي هو نص توجيهي تعليمي تربوي، ومنه نخلص إلى أن الخطاب القدسي نص حجاجي تتوفر فيه كل الآليات الحجاجية.

المصادر والمراجع

***القرآن الكريم**

I. المصادر:

1. أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح، صحيح البخاري، قح عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، د ط، د ت.
2. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد، دار الجيل، بيروت، دط ،دت، ج 1.
3. الرضي الإستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب، تح: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج1.
4. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، معجم مقاييس في اللغة، تج ، شهاب الدين أبو عمران ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1991، ج2.
5. سيبويه، أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تعليق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1999، ج1.
6. ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، و بدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، 1983، ج1.
7. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط2، 1999.
8. عبد القاهر الجرجاني، التعريفات، تح عادل أنور خضر، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ط1، 2007م.
9. عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تقديم: أحمد محمد شاكر، دار ابن الجوزي ، القاهرة، مصر، ط1، 2010.
10. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (قدس)، دار الكتب العملية، بيروت– لبنان، ط1، 2007 م، ج1.

11. منظور، لسان العرب، مادة (قدس)، دار أحياء التراث العربي، ط3، 1999، ج6.
12. نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، دار الحديثة، بيروت، لبنان، ط2، 1999، ج1.
13. يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد علي السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زوزو، العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 1987 .

II. المراجع:

1. ابراهيم قلاني، قصة الإعراب، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، د ط، 2006.
2. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع الأحمدية، الدار البضاء، المغرب، ط1، 2006.
3. أرسطو، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، حققه و علق عليه، عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت دار القلم، بيروت، 1979.
4. آن روجول وجاك موشلير، التداولية اليوم، تر، سيف الدين دغنوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003.
5. باتريك شارودو ، الحجاج بين النظرية والأسلوب ، تر أحمد الوردني ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ،لبنان ، ط1 ، 2009.
6. بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني – دراسة بلاغية و نقدية لمسائل المعاني ، مكتبة وهيبة، القاهرة، ط1، 1407هـ، 1ج.
7. بلقاسم دفة، استراتيجية الخطاب الحجاجي، مجلة المخبر (أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري) جامعة بسكرة – الجزائر – العدد10، 2014.

8. جمال محمد علي الشقيري، الأحاديث القدسية، مكتبة الثقافة للنشر، عمان- الأردن، د ط، د ت، ج1، ص 116، 117.
9. جميل حمداوي، نظريات الحجاج، شبكة الألوكة، دط، 2015.
10. جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع والفلسفة في العالم الواقعي، تر؛ سعيد الغامدي، منشورات الاختلاف، ط1، 2006.
11. حافظ اسماعيل علوي، الحجاج مفهومه و مجالاته –دراسة نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة- عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، د ط، ج1، 2010.
12. حسن أحمد أسبر، الأحاديث القدسية، الشركة الجزائرية اللبنانية، ط1، 2007.
13. حمداني نسيمة، البنية الحجاجية في ديوان –لا تعتذر عما فعلت- لمحمود درويش –تناول تداولي- جامعة ،آكلي محند أولحاج، كلية الآداب واللغات، البويرة، 2014-2015 ،
14. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية – مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2009.
15. زكريا عمراوات، الاحاديث القدسية الصحيحة، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، دط، دت.
16. زكريا عمورات، الأحاديث القدسية الصحيحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، دط .
17. سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة ، بنيته وأساليبه، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، ط2، 2011.
18. صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق- سوريا، الإصدار الأول، 2008.
19. طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1998.

20. عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط4، د ت،ج 4.
21. عباس حشافي، خطاب الحجاج و التداولية، دراسة في انتاج ابن باديس الادبي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2014.
22. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان،ط1، 2004.
23. عبد الحميد السيد، محمد عبد الحميد، التنوير في تيسير التيسير في النحو، مكتبة الازهر للتراث، القاهرة، دط، دت.
24. عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية و علم المعاني، البيان، البديع دار النهضة العربية بيروت، د ط، د ت.
25. عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط2، 2002 م،ج1.
26. عبد القادر عرفان الغشاحسوني، موسوعة الجامع الصحيح للأحاديث القدسية، دار الفكر للطياعة و النشر و التوزيع، بيروت- لبنان، د ط، 2002 م.
27. عبد اللطيف عادل، بلاغة الاقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط - المغرب، ط1 ، 2013.
28. عبد الله صولة، الحجاج في القرءان الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
29. عبد الله صولة، في نظرية الحجاج-دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1، 2011.
30. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب-مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
31. عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس- تونس، ط1، 2011.

32. عزيز لدية، نظرية الحجاج، تطبيق على نثر ابن خلدون، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2015.

33. علي بن نايف الشحود، الميسر في الأحاديث القديسة، د م ن، ط1، 2013م.

34. علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الأدب علي حسن، القاهرة- مصر، ط1، 2010م.

35. عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003.

36. عمران قدور، البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2012.

37. فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداويلة، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د م ط، د ط، 1986م.

38. فيليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط1، 2011.

39. محمد الإسكندراني، الأحاديث القدسية، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط1، 2004 م.

40. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د ط، د ت، ج 3.

41. محمد العبد، النص والخطاب والإتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005.

42. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية في القرن الأول - أنموذجا- أفريقيا الشرق، بيروت، ط1، 2000.

43. محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2005.

44. محمد طروس النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2005.

45. محمد متولي الشعراوي، الأحاديث القدسية، إعداد وتقديم عادل أبو المعاصي، دار الروضة للنشر و التوزيع، القاهرة- مصر، د ط، د ت، ج2.

46. محمد مصطفى هدارة، في البلاغة العربية و علم البيان، دار العلوم العربية، بيروت – لبنان، ط1، 1989..

47. محمد منير الدمشقي، النفحات السلفية، شرح الأحاديث القدسية على الإتحافات السنية للمناوي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، د ط، د ت.

48. محمود أحمد حسن المراغي، في البلاغة العربية و علم البديع، دار العلوم العربية، بيروت – لبنان، ط1، 1991.

49. معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، دار جواد للأئمة، بيروت- لبنان، ط 1، 1433هـ- 2012م.

50. مكي شامة، الحجاج في شعر النقائض، دراسة نصين لجرير و الفرزدق دار ميم للنشر، د ط، 2010.

51. يمينة ثابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الزندي، الخطاب دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات و البحوث العلمية في اللغة و الأدب منشورات مخبر تحليل الخطاب – جامعة مولود معمري- تيزي وزو – العدد2، 2007.

III. المجلات:

1. بوزناشة نور الدين، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، مجله علوم انسانية، العدد 44.

2. رشيد الراهني، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، التوجه التداولي الجدلي _ أنموذجا ، مجلة عالم الفكر، المجلد 36 العدد 4، افريل 2008 .

3. محسن بن عامر، البعد الحجاجي في مرزبان نامه لابن عريشاه- الباب الثالث- أنموذجا، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، العدد العاشر والحادي عشر، جانفي- جوان 2012.
4. محمد الولي، مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، مج40، العدد2، أكتوبر _ ديسمبر 2011.
5. مهابة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، دراسة مصطلحية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج18، ج3.

IV. الموسوعات:

1. أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، موسوعة جامعة و مشروحة و محققة، دار الحديث للطباعة و النشر د ط، د ت، ج5.
2. موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، أحاديث رمضان، أحاديث قدسية و أدعية مأثورة 1423 هـ .

ملحق

التعريف بالكتاب:

"كتاب "جامع الأحاديث القدسية" للشيخ: عصام الدين بن سيد بن عبد رب النبي الصبابطي.

و هو كتاب جامع، فقد تصدى لجمع و استيعاب الحديث القدسي من جملة دواين السنة، و كتبها المطبوعة، و قد بلغت أحاديثه حوالي ألف و مائة و خمسين حديثا، و هو أكبر عدد ضمه مصنف في الحديث القدسي"[1] و يعتبر هذا الكتاب أشمل و أجمع كتاب في الأحاديث القدسية.

جاء هذا الكتاب في ثلاث مجلدات، الأول 366 صفحة و الثاني 392 صفحة و الثالث 446 صفحة، و يحتوي المجلد الثالث على فهارس شاملة للكتاب تساعد الباحث على الوصول إلى مراده بكل سهولة و هي كالتالي (فهرس الأجزاء و الكتب – فهرس الرواة من الصحابة أو التابعين – فهرس الأعلام المترجمين– فهرس أطراف حديث الكتاب، فهرس الموضوعات)[2].

- ❖ هو كتاب مرتب بطريقة سهلة تيسر كثيرا من الفوائد، و تحقق كثيرا من المقاصد.
- ❖ هو مرتب ترتيبا موضوعيا على الكتب و الأبواب كترتيب الكتب الحديثة، ثم على رواته من الصحافة من داخل الأبواب، و قام بتخريج أحاديثه من مصادرها، و بذلك يكون مرجعا حديثا في التخريج... و فيه فهارس لأطراف هذه الحديث في آخر الكتاب.
- ❖ هو كتاب محقق الأسانيد، من صحيح و حسن و ضعيف و غيره....

و قد تضمن الكتاب شرح الكلمات و المعاني الغريبة شرحا يفي بالغرض دون إطلال أو املال، و لا يخلو من تعليقات نفيسة منقولة من أئمة أهل العلم، أو من مؤلف هذا الكتاب[3].

قام المؤلف بعمل مقدمة صغيرة حول الحديث القدسي فذكر فيها: تعريفه، صيغه، و مظانه، و طريقة نقله، و منزلته، و أهم المؤلفات فيه و الفرق بين الحديث القدسي و القرآن [4] .

---

[1] ينظر: أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابي، جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص22.
[2] جامع الأحاديث القدسية: http://www.ahlalhadeeth.com 4 posts, 10 aout2005
[3] ينظر: أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابي، جامع الأحاديث القدسية، ج1، ص22.
[4] جامع الأحاديث القدسية: http://www.ahlalhadeeth.com 4 posts, 10 aout2005

الملخص

ملخص

ملخص:

يعالج البحث موضوع "الحجاج في الأحاديث القدسية" و قد اعتمد هذا البحث على كل آليات الخطاب المرتبطة بعلوم اللغة و البلاغة و الفلسفة و التداولية ثم تعرض هذا البحث لدراسة تطبيقية للآليات الحجاجية في هذه المدونة حيث تتنوع فيها المظاهر الحجاجية المختلفة، و لا سيما إذا تعلق الأمر بالحديث النبوي عامة و الحديث القدسي خاصة فهو خطاب حجاجي بالأساس موجه للتأثير في المخاطب و تغيير سلوكه، فهو من أنجع الأساليب التي تساهم في الإقناع المنطقي و استمالة العقول و تحفيز النفوس و التوجيه الديني للمتلقي و دفعه إلى تغيير المعتقدات و السلوكات الخاطئة، و ذلك بالنصح و الإرشاد و الترغيب و الترهيب، و يضمن البحث في فصله الأول مفاهيم عامة للحجاج و نشأته عند الغرب و العرب قديما و حديثا، كما تناول الفصل الأول علاقة الحجاج بالتداولية و عرضا نظريا لأهم التقنيات و الآليات الحجاجية و تتمثل في الآليات اللغوية و البلاغية و الفلسفية أما الفصل الثاني فكان بعنوان "دراسة تطبيقية لآليات الحجاج في الأحاديث القدسية" و تضمن تطبيق لآليات المحاججة التي وظفها الله عز وجل في الأحاديث القدسية، إذن فهذه المدونة تنوعت بشتى أنواع الحجج اللغوية و البلاغية و الفلسفية و هذا يدل على الطاقة الحجاجية التي يتميز بها الخطاب القدسي، و منه نخلص إلى أن الحديث القدسي نص حجاجي تتوفر فيه كل الآليات الحجاجية.

الكلمات المفتاحية:

الحجاج، التداولية، الخطاب، الإقناع، البرهان، الدليل، المتكلم، المتلقي، التأثير، الآليات اللغوية، الآليات البلاغية، الآليات الشبه منطقية، السلم الحجاجي و وسائله، الأحاديث القدسية.

Résumé:

La recherche porte sur le thème « des pèlerins dans les hadits sacrés », et s'appuie sur tous les mécanismes du discours liés aux sciences du langage, de la rhétorique, de la philosophie et de la délibération. Ensuite, cette recherche présente une étude appliquée des mécanismes des pèlerins dans ce code. Ou différentes manifestations de différentes pèlerins, surtout s'il est lié au hadith du prophète en général et au saint hadith en particulier, il s'agit d'un discours du Hidjaj. visant principalement à influencer le communicateur et à changer son comportement, il s'agit de l'une des méthodes les plus efficaces qui contribuent à la persuasion logique et au lavage de cerveau, stimulent l'âme et les conseils religieux du destinataire et le poussent à modifier ses croyances et ses idées fausses. Et les conseils et les orientations, mes encouragements et l'intimidation. Les recherches du premier chapitre incluent des concepts généraux sur les pèlerins et leur origine en occident et dans les arabes, passés et récents.

Le premier chapitre traite des relations entre pèlerins et délibération, ainsi que d'une présentation théorique des techniques et mécanismes de pèlerinage les plus importants à savoir les mécanismes linguistiques, rhétoriques et philosophiques.

Le deuxième chapitre s'intitulait « une étude appliquée des mécanismes des pèlerins dans le saint hadith ». Ainsi que l'application des arguments qu'Allah a utilisés dans le hadith ELQODS.

Le blog variait en divers type d'arguments linguistique, rhétorique et philosophique, ce qui indique l'énergie des pèlerins, caractérisée par le discours sacré, et nous concluons que le discours sacré est un texte de pèlerinage dans lequel tous les pèlerins.

الفهرس

الفهرس

مقدمة **أ - ج**

الفصل الأول: الحجاج دراسة نظرية

المبحث الأول: الحجاج في الدرس التداولي

تمهيد **6**

I. مفهوم الحجاج **6**

أ. لغة **6**

ب. اصطلاحا **8**

II. الحجاج في الدراسات الغربية **11**

أ. قديما **10**

1- الحجاج عند السفسطائيين **10**

2- الحجاج عند أرسطو **13**

ب. حديثا **14**

1- الحجاج عند شايم بيرلمان ولوسي أولبيرخت تيتيكا **14**

2- الحجاج عند جان كلود انسكومبر وأوزوالد ديكرو **16**

III. الحجاج عند العرب **18**

أ. قديما **19**

1. الحجاج في القرآن الكريم والحديث النبوي/القدسي **19**

1.1. الحجاج في القرآن الكريم **19**

1.2. الحجاج في الحديث النبوي الشريف **20**

I. الحجاج في البلاغة العربية القديمة **22**

1-1- الحجاج عند الجاحظ: (ت 255 هـ) **22**

2-1- الحجاج عند السكاكي: (توفي 626 هـ) **23**

ب. حديثا **24**

1) الحجاج عند طه عبد الرحمن **24**

2) الحجاج عند أبو بكر العزاوي **26**

3) الحجاج عند محمد العمري **27**

IV. أنماط الحجاج **29**

1- الحجاج التجريدي **29**

2- الحجاج التوجيهي **30**

3- الحجاج التقويمي **30**

4- ضوابط النص الحجاجي وخصائصه **31**

أ. ضوابط النص الحجاجي **31**

ب. خصائص النص الحجاجي **33**

1. القصد المعلن 33
أ. التناغم 34
ب. الاستدلال 34
ج. البرهنة 35
5) علاقة الحجاج بالتداولية 35
1. الحجاج عند أوستين 36
2. الحجاج عند سيرل 39
3. الحجاج عند ديكرو 41
المبحث الثاني: الآليات الحجاجية 43
I. آليات الحجاج اللغوية 44
1. ألفاظ التعليل 44
2. الأفعال اللغوية 45
II. آليات الحجاج البلاغية 50
III. آليات الحجاج شبه المنطقية 56
الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لآليات الحجاج في الأحاديث القدسية
المبحث الأول: الحديث القدسي
تمهيد 67
1/ تعريف الحديث القدسي لغة و اصطلاحا 68
أ- *الحديث القدسي لغة* 68
ب- *الحديث القدسي اصطلاحا* 70
2/ صيغ الحديث القدسي 71
3/ موضوعات الحديث القدسي و أغراضه 74
4/ الفرق بين القرآن و الحديث القدسي و الحديث النبوي 76
أولا: *من حيث نسبته* 76
ثانيا: *كيفية تلقيه* 77
ثالثا: *مزيته و فضله* 78
رابعا: *موضوعه* 79
المبحث الثاني: النماذج التطبيقية لآليات الحجاج 81
1- الآليات اللغوية 81
أ- ألفاظ التعليل 81
ب- الألفاظ اللغوية 82
2- الآليات البلاغية 101
أ- الاستعارة 101
ب- التشبيه (التمثيل) 106
ج- الكناية 109

د-	البديع	**112**
3-	الآليات شبه المنطقية	**118**
أ-	الروابط الحجاجية	**119**
ب-	درجات التوكيد	**124**
2/	آليات السلم الحجاجي الشبه المنطقية	**125**
أ -	التعدية	**125**
أ - 1 -	أفعال التفضيل	**126**
أ - 2 -	صيغ المبالغة	**129**
ب -	حجة الدليل	**130**
	خاتمة	**133**
	قائمة المصادر والمراجع	
	الملحق	
	الملخص	
	الفهرس	